

صرخت أله

صرخة ألم

قصص

د. زينب حلي

الطبعة الأولى: ٢٠١٩

رقم الإيداع: ٢١٨١٨ / ٢٠١٩

ISBN 978-977-6739-09-3

٩٤ ص ، ٢٠ سم

الناشر: الحسنة للنشر والتوزيع

{جميع الحقوق محفوظة ©}

التوزيع لجميع أنحاء العالم



الإسكندرية

ج ٢٠٢٠ ع

المراجعة اللغوية: عبلة صبري

إخراج فني: أمير مصطفى

صرخة ألم

صرخة ألم

استيقظت رهام من النوم فزعاً على غير عاداتها، فمسحت على عينيها؛ لتبين أى شعاع نور يدخل غرفتها، ولو مجرد بصيص. فلم تجد فأنارت المصباح وتحققت مما سمعت، فإذا به صوت مدوى يملأ المنزل، وكأنه ارتطامٌ شديدٌ، شعرت بالفرع ثم انطلقت إلى شرفة حجرتها؛ حيث إن الصوت كان قادمًا منها، وأصيبت بالرعب بعد ما شاهدته. لقد رأت أيمن جارها ملقى على قارعة الطريق غارقًا في دمائه، ويبدو أنه قد سقط للتو من شرفة الطابق الخامس من البناية نفسها التي تسكن فيها رهام .

كان المشهدُ مهولًا. صرخت رهام بأعلى صوتها لالالالالالالالالالال.. وما هي إلا ثوانٍ، وكان الشارع قد امتلأ بالناس يرون ما يحدث، والجميع في ذهول منهم من يقول لاحول ولا قوة إلا بالله، ومنهم من يبكي من الصدمة، ومنهم من لا يصدق عينيه، ثم حضرت الشرطة إلى مكان الحادث سريعًا بعد أن قام أحد رجال الحى بإبلاغها. وتفرق الناس عقب وصول سيارة الإسعاف؛ لتحمل الشاب إلى المشفى، وخلفه والده مع كثير من شباب الشارع والجيران.. لحظات صعبة مرعبة مرت بالجميع، ومن هول الصدمة على رهام ظلت تبكى بهستيريا ووالدتها تسألها ماذا حدث؟؟ فلا تجيب حتى علمت الأم بما وقع بعد أن سألت أحد الجيران على السلم أثناء الهرج والمرج الذى ساد المسكن في لحظات، حاولت الأم تهدئة ابنتها، ولم تفلح وظلت تبكى

طيلة اليوم، وانقضى اليوم ثم نعى إلى علم رهام أن أيمن توفي في الحال.

وكان أيمن شابًا في العشرين من عمره، يحمل ملامح غالبية الرجال المصريين؛ ولكن بشرته تميل إلى البياض، طويل القامة ذو شعر بني اللون، يميل مظهره إلى الجدية والحياء والثقافة. عمومًا يرتدى النظارة الطبيّة بصفة دائمة، ونادرًا ما يرى بدونها. عُرف منذ نعومة أظافره بالاجتهاد في الدراسة، وعدم مخالفة والديه في أى أمر، كما عُرف بأنه لا يصاحب إلا أمثاله من المجتهدين ذوى الأخلاق الفضيلة.

تم نقل أيمن إلى المشفى؛ لإسعافه ولكن سبقت كلمة القدر كل كلمة فلقى الشاب مصرعه في الحال.

وكانت رهام أحمد حسين جارتة في الدور الثانى من العمارة. فتاة في العشرين من عمرها جميلة ورقيقة الملامح. يوحى مظهرها بعدم الاهتمام بهيئتها، وبأنها فتاة منطقية على نفسها ليس لها صديقات إلا القليل؛ لأنها -نادرًا- ما كانت ترتاح لأحد، كتومة جدًا، ولكنها متفوقة في دراستها لولا خطها السيء لكانت التحقت بكلية مرموقة خاصة وهى كانت على علوم، ولكن قدرها شاء أن تدرس في كلية التجارة التى لا تروق لها بالمرّة ولكنها مضطرة أن تدرس بها بسبب مجموعها مما زاد من أسباب بؤسها وانطوائها.



التحقيق

توفي أيمن في تمام الساعة الثامنة صباحًا يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من يونيو عام ألفين وتسعة. واستغرق تصريح الدفن يومين؛ للتأكد من خلو الحادث من الشبهة الجنائية، وقد تم التحقيق مع الأسرة قبل استخراج التصريح.

حاولت الشرطة استجواب والديه، ولكن حالتها السيئة حالت دون ذلك فتأجل التحقيق إلى اليوم التالي. وكانت الأخبار والإشاعات بدأت في الظهور، ويتداولها الناس بالمدينة عن انتحار أيمن مع عدم وجود شبهة جنائية بالموضوع.

ولكن ما الذى دفعه لذلك؟؟ وكيف هانت عليه نفسه إلى هذه الدرجة ولم يبالي بعقاب الله؟ أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات تدور في أذهان الجميع.

نفخ الرائد محمود الطويل في لفافة التبغ بتوتروسرعة، وبدت على وجهه ملامح الجدية والحيرة. وكان ضابط المباحث الموكل إليه التحقيقات؛ لكشف الغموض في حادث مصرع أيمن عبد الحميد بسيونى الطالب فى الفرقة الثالثة كلية حقوق جامعة القاهرة، والذى كان مشهود له بالالتزام والتفوق منذ الصغر، كما عُرف الضابط من الناس. حاول أن ينال حديثًا ولو قصيرًا مع والد أيمن، ولكن باءت محاولاته بالفشل خاصة بعد أن علم أن والدته تم

نقلها إلى المستشفى فور وقوع الحادث والأب معها لا يتركها ثانية، وهو في حالة انهيار تام ولا يتكلم هو الآخر.

بدأ الضابط في جمع التحريات من الجيران وأصدقاء الأسرة والمقربين من العائلة وأصدقاء أيمن؛ لمعرفة مُلابسات الحادث، وما هي إلا ساعات، وكان على مكتبه تقريرٌ مفصل من عيونه بالمنطقة، ومن أتباعه عن تحركات أيمن، واتصالاته وعلاقاته. وكان التقرير يفيد بوجود خلافات مع عائلته منذ فترة بسبب رغبة أيمن في التحويل من كليته إلى المعهد العالى للموسيقى العربية، ورفض الأسرة حتى مناقشة الفكرة.

تم تحويل القضية إلى النيابة العامة بعد يومين من الحادث، فتولى وكيل النيابة أحمد معتز التحقيق ثم بدأ في قراءة تقرير المباحث، ومن ثم شرع في استدعاء الشهود، وكان أولهم الأستاذ عبد الحميد بسيونى "والد الفقيد" الذى مثل أمام النيابة فى الحال. بدأ وكيل النيابة يطرح عليه الأسئلة تباعاً، فقال له وعلى وجهه ملامح الجدية: ما اسمك بالكامل؟

فأجابه: عبد الحميد بسيونى عبد الحميد.

فسأله: ما علاقتك بأيمن بسيونى الذى سقط من الدور الخامس

بتاريخ ١٥

يونيو عام ألفين وتسعة.

أجاب الأب بتوتر والدموع تملأ عينيه: هو ابنى..

فاستدار وكييل النياابة، وتناول بعض من كوب الشاى الذى كان على مكتبه،

ثم قال:

أين تعيش، وما عملك، ومن يعيش معك؟

رد الأب وهو ناظر إلى الأرض فى ضعفٍ:

أعيش مع أسرتى؛ وتتكون من زوجتى، وهى تعمل معلمة لغة عربية، وأبنائى أيمن وعمر وهو طالب بالصف الثالث الإعدادى.

فقال أحمد بك دون أن تظهر عليه أى علامات تعاطف:

صف لى كلِّ ما حدث بالتفصيل.

فبدأ الأب فى التذكر ببطء ثم قال:

استيقظت مع أسرتى الساعة الرابعة فجراً؛ لصلاة الفجر مثل عادتنا، واصطحبت أيمن وعمر إلى الجامع، وبعد رجوعنا توجه الأولاد لغرفة النوم؛ لاستكمال نومهما، وذهبت أنا إلى حجرتى، ونمت أيضاً. وفى تمام الساعة السابعة استيقظنا جميعاً على صوت ارتطام قوى، وصراخ وكان ذلك لسقوط ابنى أيمن من شرفة حجرتة، وهنا سالت دموع الأب دون أن يدرى، وأغرقت عينيه ووجهه. فقال له وكييل النياابة: البقاء لله.. تماسك أرجوك احتسبه عند الله.

فرد الأب بتأثر بالغ: لم يكن يستحق كل ذلك. كان شاباً مرهف الحس حنوناً لا أدرى كيف طاوعته نفسه أن يقتلنى أنا وأمه ونحن على قيد الحياة.

فاستطرد أحمد بك، وهو ممسكٌ بالقلم بين أصابعه يحركه حركات عصبية.

س: التحريات تخبرنا بوجود خلافات بينكم بسبب رغبته في الالتحاق بمعهد الموسيقى العربية. فماذا تقول؟
فرد الأب سريعاً:

نحن رفضنا الفكرة من أساسها، وهو كَفَّ عن المطالبة بذلك منذ ما يقرب من شهر، ولكن لم يخطرُ ببالنا أبداً أنه من الممكن أن يتهور، ويفعل ما فعل!!

وكيل النيابة: أمرنا بحفظ التحقيق؛ لعدم وجود شبهة جنائية، والتصريح بدفن الجثة.

فقال الأب: اللهم لا اعتراض.. لله ما أعطى، ولله ما أخذ. تمت مراسم الجنازة على عجلٍ وسط مشاعر الحزن المفعمة بالشفقة من الجميع على هذا الشاب الخلق الذي على قدر عالٍ من الخلق والتهذيب. والجميع كان يتمنى لو كان ابنه.



فتاة من زمن تغير

كانت حجرة رهام مربعة الشكل، تحتوى تختاً تنام عليه، ودولاباً، ومكتباً عليه "لاب توب"، وبعض الكتب الدراسية والمجلات والصحف. وشرفة تطل على الشارع.

وقفت رهام في شرفة حجرتها التي تطل على الشارع، وأخذت تنظر لبقعة الدماء المتبقية من أثر الحادث برغم أن عمّ جلال صاحب السوبرماركت المواجه للمنزل نثر بعض الأتربة عليها؛ لأن الأرض لا تمتص الدماء، ولكن المنظر بالشارع كان مؤلماً للغاية. ارتعبت رهام وخارت قواها، ثم ارتمت على فراشها باكية بألم شديدٍ حزينةً وتردد في نفسها: لماذا لم أستطع أن أكلمه ولو مرة واحدة؟! كنت أتمنى منه ولو كلمةً. كنت أخشى أن يخذلني. كنت أخاف، أو بالأدق أننى أخجل نعم. لم تكن لديّ الجرأة أن ألفت نظره. لم ينظر إليّ، ولو مرةً واحدةً. مما زاد من تعلقى به، وإحساسى أنه شابٌ متدينٌ، وعلى خلقٍ. فقد كان بعيداً كالنجوم فى السماء، وأنا من أكون؟! مجرد كمٍ مهمّل لا يشعر بوجوده أحد.

كنت أقضى الليل ساهرةً، أستمع إلى عزفه على آلة الكمان، وأكاد أن أبدى له إعجابى بعزفه؛ لكن شجاعتي تخوننى. كان جارى وبرغم ذلك لم نتحدث أبداً. ربما لأننى فتاةٌ خجولةٌ جداً؛ يحمُر وجهى خجلاً إذا تحدثت مع الغرباء، أو لأنه لم يلتفت لى.

ذكريات تتابعت في رأسها أعادت إليها أيام الطفولة التعيسة حيث المدرسة الابتدائية في فصل أولى ثالث، ثم قالت في نفسها:
كنت لا أَلعب سوى مع البنات، ومحظور عليّ الكلام مع الأولاد بأمر من أبي، ولم أكن أفهم لما، ولا سيما أن لي اثنين من الإخوة الذكور، وألعب معهم أحياناً، ولا أفهم ما الفرق بينهما، وبين زملائي في المدرسة وقتها، والذين لم يخطئوا أمامي من قبل أو بمعنى أصح لم يجهد أحداً نفسه في إفهامي السبب في أن الحديث أو اللعب مع الأولاد لماذا يعد عيباً ولا يصح؟! وكان عمري وقتها ست سنوات.
المهم أني -فعلاً- كنت ألتزم بأوامر أبي خوفاً من معاقبتي، وكان أخي الأكبر "علي" معي في المدرسة نفسها، يسبقني بثلاثة أعوام، فدأب أبي على سؤاله: هل رهام تتكلم مع الأولاد؟ فكان عليّ يجيبه: لا..
وينظر لي نظراتٍ، تخيفني تعني أنني لو خالفته في أي أمرٍ ربما انقلب عليّ، وأخبر أبي بعكس ذلك؛ لأطيع أوامره. وكان هذا التهديد مرهقاً لي نفسياً جداً.

فما يدريني إذا أخبر أبي ربما عاقبني أبي بالضرب بالحزام كما كان يفعل أحياناً إذا انزعج مني؛ لأي سببٍ، أو يضربني بالحذاء كما اعتاد أيضاً مما يتسبب لي في الألم النفسى والجسدى معاً خاصة وأنى حساسةٌ جداً، وسريعةُ التأثر. فإذا حزنت أحزنُ بعمقٍ، ولا سيما إذا مس الأمر كرامتي.

أفاقت رهام من تخيلاتها ولحظة التأمل التي اعترتها، وخرجت؛ لتجلس مع أمها في الردهة المواجهة لحجرتها، فسألتها الأم أَلن

تذهبي إلى كليتك؟ مريومان على الحادث أرجو أن تنسى المشهد
الذي رأيته، أنا أعلم أنه ليس سهلاً..
فصمت رهام، ولم تنبس ببنت شفة، حتى حل موعد العزاء.
وكانت رهام تتحسب له، وتخشى أن تخونها شجاعتها، فتبكي أثناء
ذلك.



العزاء

كانت الأمُ ترتدي ثوبًا أسود اللون، فقالت لها رهام سوف أذهب معك؛ لأعزى أمَّ أيمن جارتنا، فلم تمنع، ولم تعتد رهام منها على قبول رأيها بهذه السهولة، أو مرافقتها إلى أى مكان. اتجهت رهام لارتداء ثوبها الأسود، وذهبت مع أمها للعزاء. وبعد مرور عدة أيام..

تتذكر رهام ما حدث في ذلك اليوم، وتقول لصديقتها العائدة من السفر ما أن وصلت إلى العزاء حتى شعرتُ أنى أسمع صوت أيمن بالمزمل، فارتجفت للحظة ثم نظرت لأمى قائلةً لها: هل تسمعين شيئاً؟! قالت: مثل، ماذا؟

قلت: صوت أيمن أسمعته يتكلم ويضحك. قالت أمى: ما هذا الهراء؟! كفى عن خيالاتك. إنه وهمٌ، أنتِ فقط- متأثرةٌ بما حدث.

فطردت هذه الفكرة من عقلى، وجلست صامتةً فى العزاء؛ ولكن منظرَ أمه وهى مذهولةٌ ظل عالقًا فى خيالى كثيرًا، ومظهر المعزّين المكتسبين بالملابس السوداء مع صوت بكاء ذويه كل هذا أثار فى قلبى، وشعرت بالوجع الشديد بل وانخرطت فى كآبة مؤلمة، وبكاء صامت حتى انصرفنا.

كنت أشعرُ بمزاج سيءٍ جدًّا، وبأننى لأول مرة أفقد الرغبة فى كل شيء، وكأن جذوة الحياة قد خمدت فى داخلى.

مرت الأيام متشابهة، وأنا أحاول أن أنسى ما حدث، ولا أستطيع حتى جاء يوم أتذكره جيدًا حين قالت أمي لأبي:
أنا سمعت أيمن يتجادل مع أبيه وأمه ليلة الانتحار، وكان يهددهم بذلك؛ ولكنهم لم يعيروا الأمر اهتمامًا ظنًا منهم أنه محض تهديد، ولن يجروا الولد على تنفيذه..

فأجابها أبي: أنتِ تعلمين يا أمال أنني أفهم جيدًا في علم النفس، وقد قرأت عن حالات الاكتئاب من هذا النوع التي تؤدي إلى الانتحار، وأؤكد لك أن مثل هذا التهديد لا ينبغي أن يمرره الأهل مرور الكرام، ولا بد أن يؤخذ على محمل الجد..
فالأولاد لا يتفوهون إلا بما يعنون، والواقع في هذا الحادث أثبت لنا ذلك.

ماذا كنت تريد أن يفعلوا معه؟ قالتها أمي.
فرد أبي بكل ثقة وغضب، وهو منتفخ الأوداج:
أن يوافقوه على ما يريد، أو على الأقل أن يقنعوه بوجهة نظرهم.
فما الحال الآن بعد أن فقدوه للأبد.

قالت أمي بانفعال واضح: ليس كلُّ الناس يفكرون مثلك، أو يعرفون ما تعرف. أظنهم كانوا يعطونه الأمان. وربما لا يعلمون بما يمر به من أزمة نفسية. ربنا يهون عليهما ما يواجهان الآن من أحزان وعذاب الندم.

كان أبي الأستاذ "أحمد حسين" يعمل موظفًا بمصلحة الجمارك، قارئًا من الدرجة الأولى. وأنا قد ورثت منه هذا الطبع، وأحببت

القراءة من كثرة ما رأيت الكتب المتنوعة في منزلنا. وكان في الأساس خريجًا لكلية الآداب جامعة القاهرة قسم فلسفة وعلم نفس؛ ولكنه تم تعيينه في مصلحة الجمارك أيام الرئيس جمال عبد الناصر حيث كان جميع الخريجين يتم تعيينهم بغض النظر عن عدم ملاءمة الوظيفة للشهادة، وكان ذلك دافعًا للجميع للاهتمام بالتعليم من أجل الوظيفة.

أبى من أصول ريفية، ولكنه عاش في القاهرة منذ تعيين في وظيفته في جمارك ميناء القاهرة الدولى، واشترى شقتنا في منطقة "حلمية الزيتون" منذ ذلك الحين حيث ولدنا، وتربينا فيها في العمارة نفسها التى نقطنها الآن.

كان قاسيًا أحيانًا، وأحيانًا قليلة كان حازمًا من دون قسوة، متسلطًا إلى أبعد الحدود، ولا يستمع سوى إلى رأيه لذلك أنشأ أولاده ذوى شخصيات ضعيفة من السهل السيطرة عليهم، ولا يحبون تحمل المسئولية.

كنت أستمع إلى أبى، وأشعر بالتعجب. كيف له أن يكون قارئًا ممتازًا ودارسًا فى مجال علم النفس، ويعاملنى هكذا، ويوبخنى كثيرًا؟!!!! بل ويترك أمى تمطرنى بوابل من الشتائم والسباب إذا خالفها فى أمرما. وأحيانا تعيرنى أنى لست جميلةً، ولن يتزوجنى أحدٌ فى يوم من الأيام.. مما رسخ فى خاطرى هذه الفكرة، وجعلنى - تقريبًا- فتاةً معقدةً. أكره نفسى أحيانًا، وأزدرىها، ولا أحب شكلى برغم أنى لا يدّلى فيه، وبرغم أنى عرفت ممن حولى بعد ذلك

بسنوات أنى أجمل مما كنت أعتقد!! خطأ عظيم أن تنشأ الفتاة على اعتقاد بأنها ليست جميلة مادياً أو معنوياً، كما كانوا يحاولون وصى به؛ فنشأت مفترقة؛ لتقدير الذات، والحنان، والثقة فى نفسى مما جعلنى خجولةً كنتيجة لذلك.

أما أمى آمال فى سيدة قاهرة تتمتع بالجمال، ولكنها لم تكمل دراستها؛ لأسباب أسرية خارجة عن إرادتها لذلك تحرص كل الحرص على تعليم أبنائها، وتفضل البنين على البنات ربما لعقدة مرت بها فى طفولتها، لم تقصها علينا أبداً من قبل.



اللقاء غير المتوقع

أغرقت رهام نفسها في القراءة كعادتها حتى تنسى ما رأت، وراحت تطالع عديدًا من الكتب بطريقة "pdf" على الهاتف المحمول الخاص بها حتى إنها كانت تقرأ من كل كتاب جزءًا، وتبدأ في أكثر من ثلاثة كتب في آن واحد..

ولكنها أبدًا لم تنسَ شيئًا.

وفي إحدى الليالي بعد أن سهرت حتى منتصف الليل ذهبت؛ لتنام ورأت في حلمٍ كأنه واقعٌ، رأت أيمن وهو جالسٌ وحيدًا حزينًا، يريد أن يخبرها بشيء، ولا يستطيع أن ينطق، ثم استيقظت من النوم فزعة خائفة، وكأنه كان واقعًا، وليس خيالًا. فبكت حتى احمرت عيناها، وفكرت في إخبار والدتها؛ ولكنها تراجعته قائلةً لنفسها: "أكيد ماما ستظن أنني أفكر فيه، وأنى لا أنساه وستسمعني ما أكره".

مرت ساعةٌ، ثم فكرت في أن تتصلَ بصديقتها "لبنى" وتحكى معها، وتفضفض قليلًا لعلها ترتاح.

جرت رهام إلى الهاتف الأرضي؛ لتتصل بصديقتها بينما كانت والدتها جالسةً على أحد كراسي "الفوتيه" في الردهة، فسألتها بصوت عالٍ مع من تتحدثين الآن؟

قالت رهام بتردد: صديقتي لبنى.. أريدها أن تأتي لي؛ لنذاكر سوياً درسًا لم أفهمه.

فقالت الأم: أرجو ألا تمضيا وقتكما في التسلية، وسماع الأغاني فجيراننا مازالوا في حالة حزن مجروحين، سنراعى جميعًا شعورهم. فردت رهام: لا تخافي لن نصدر صوتًا. أنا في حالة سيئة، ولست أريد أن أستمع إلى أى شئٍ.

مرت نصف ساعة، وكان جرسُ الباب يدقُ حيث كانت لبني بالباب، وبعد لحظات فتحت رهام، واستقبلتها في حفاوةٍ قائلةً: هيّا معي إلى حجرتي؛ لنذاكر درسًا لم أفهمه جيدًا.

ثم انصرفا لحجرة رهام، وهناك جلسا حول مكتبها، وبدأت رهام كلامها تخيلي يا لبني أنا حلمت بالمرحوم أيمن جارنا، فانتهت لبني وقالت بفضول:

ماذا؟! كيف؟! وماذا رأيت؟! احكى لى

قالت رهام حلمًا قصيرًا، كان جالسًا حزينًا ومتأثرًا جدًّا، ولا أدري لما، ولم يخبرني ما الذى أبكاه.

فقالت لبني: أكيد؛ لأنه مات منتحرًا، خسر الدنيا والآخرة.

قالت رهام: لا أدري، هل لهذا السبب كان حزينًا أو أنه كان سيخبرني شيئًا لولا أننى استيقظت من النوم.

إذا كان يريد إخبارك بشيء، فسيأتى لك لاحقًا في حلمٍ آخر..

رهام. ألم تخبريني أنكما لم يسبق وأن تحدثتما من قبل؟

رهام: أجل، لم نتكلم من قبل..

فكيف إذن علم أنك تفكرين فيه؟!

المفروض أنه لا يشعر بك..

رهام بتعجبٍ: ماذا تقصدين يا لبنى؟!
أقصدُ لماذا لم يظهر لوالدته، أو أبيه، أو أصدقائه مثلاً؟
وكيف عرف أنك مشغولة به؟
الحقيقة لم أفكر في ذلك.
لبنى: إذن.. هو كان يشعر بك، وكان يخشى أن يحدثك .
معقولة؟!!

لما لا.. ربما كان خجولاً مثلك، أو يخشى من ردة فعلك.
رهام: ربما ولكن المهم الآن هل أخبر أحداً؟
فقامت لبنى من مكانها متجهة إلى الشرفة قائلةً: لا طبعاً، أنتِ لا
تعرفين شيئاً بالفعل لن ينوبك سوى اللوم والالتهام وربما يفقدون
ثقتهم بكِ.
فقالت رهام وهي ساهمةٌ:

حسنًا.. ربما تكشف لنا الأيام القادمة أشياء لم نكن نتوقعها.
وبدأتا في المذاكرة حينها دخلت آمال والدة رهام وسألتهما: هل
تريدان شيئاً، ثم دعت لهما بالتوفيق.

طيف من رحل

مريومان ورهام تناست الحلم، وخرجت مع أبيهما؛ لشراء بعض
مستلزمات البيت من أطعمةٍ وقابلت في الطريق إلى السوق صديقة
طفولتها "فاطمة" فتكلمت معها قليلاً وهي تمشى مع والدها، لم
تكن هناك فرصةٌ لأكثر من ذلك على وعد بأن تتصل بها عند
العودة للمنزل؛ لترتيب لقاء بينهما.

وكانت فاطمة تسكن بالقرب من رهام، وهي زميلة لها منذ أن كانت في المدرسة الإعدادية؛ ولكنها لم تلتحق بالثانوى العام لعدم حصولها على المجموع المؤهل لذلك. فدخلت المدرسة الثانوية التجارية، وأنهتها وحصلت على الشهادة المتوسطة منها، وبقت في المنزل انتظاراً لأى وظيفة من أى نوع؛ لكى تلتحق بها حتى لا تهدر ما حصلت عليه من شهادة. ومنذ ذلك الحين لم يحدث اتصال بينها وبين رهام؛ لأن كل منهما اتخذت طريقًا مغايرًا للأخرى في الدراسة. حين عادت رهام ووالدها للمنزل، جلست الأسرة كلها؛ لتناول طعام الغداء، ثم ودخل كل واحد إلى حجرته. فاتجهت رهام للمطبخ؛ لغسل الأطباق. وسمعت وهى فى المطبخ صوت جارتهم "أم أيمن"، وهى تبكى حيث إن شباك المطبخ الخاص بجارتهم كان مفتوحًا، وهى تقف فيه، ولا تجف لها دموع. هنا فقط تأثرت رهام جدًا، وأخبرت والدتها برغبتها فى الصعود لأم أيمن؛ لمواساتها والحديث معها لأنها سمعتها تبكى، فلم تمنع الأم. اتجهت رهام لحجرتها، ولبست ملابس سمراء ثم فتحت الباب وخرجت.

صعدت رهام للطابق الخامس لأم أيمن، ورنّت جرس الباب ففتحت أم أيمن وهى تجفف دموعها.

ثم قالت: أهلاً رهام حبيبتي، كيف أحوالك، وكيف حال آمال؟ فقالت رهام: الحمد لله، أردت الاطمئنان عليك. أنا قلقته عندما سمعتك تبكين، هنا سألت دموع أم أيمن، وقالت: ماذا على أن

أفعل يا بني؟ إنه قلبى الذى يبكى، ولا يكفُّ . أنت مازلتِ صغيرةً،
ولا تعرفين كم أنا موجهة؟ ابني قطعة من قلبى لن أراه ثانية.
فقالت رهام: لا تقولى هذا الكلام سترينه فى خيالك، وكأنه معك،
ولن يفارقك كما أنك ربما رأيته فى أحلامك، فيخفف عنك الأمر
قليلاً.

فقالت الأم: يا ليته يجىء لى فى المنام يا بني، كم اشتقت له!!
فقالت رهام: قرأت أن المتوفى يتألم من بكاء من يحبه، فأرجو ألا
تجعله يتألم .

صدقنى يا بني، أعدك أنى سأحاول .

قالت رهام بتودد ظاهر: أتعرفين شيئاً؟ أيمن لم يكن عزيزاً عليكِ
وحدك، وإنما علينا جميعاً..

فنزطت لها الأم بكل حنان وقالت: يا ليته كان يعلم ذلك، يا ليتكِ
أخبرته بذلك يوماً ربما لخاف على حزنك، ولتراجع عما فعل.

فامتقع وجه رهام وقالت ماذا!!!!

نعم يا ابنتى، أيمن كان معجباً بكِ، وبأخلاقك، ولح لى بذلك من
قبل، ولكنه لم يجرو أن يحدثك خوفاً من أن تظنى أنه شابُّ
طائشٌ عديمُ الأخلاق، أو تصديه. وتظنين به الظنون.

ياااااه.. انطلقت من فم رهام دون أن تشعر، وقالت ضاعَت
المشاعر بين خوفى وخوفه، ودمعت عيناها ثم أكملت لا فائدة من
هذا الآن..

تأكدى يا بنيتى أن روحه ستحوم حولك، وحول كل من يُحب؛
ليطمئن عليهم ويطمئنهم.

صدقتى يا خالتي ربنا يريح قلبك، ويمنحك الصبر والسلوان.
انصرفت رهام بعد أن تأكدت أن ما جال في خاطرها كان صائبًا،
وأن أيمن كان يميل إليها مثلما تميل إليه.
رن جرسُ الهاتف، وكانت فاطمة على الجانب الآخر تخبر رهام
بضرورة رؤيتها، والحديث معها.
فأجابتها رهام: تفضلى عندي في المنزل، أنتِ تعرفين أمى وتحكمتها،
لن توافق أن أخرج؛ لأزورك.

فوافقت فاطمة، ووعدها بأن تمر عليها بعد ساعة.
رهام أخبرت والدتها أن فاطمة قادمة إليها، فلم تعترض الأم، وقالت
اشترى لها شيئًا؛ لتشربه لا يصح ألا تقدمى لها شيئًا.
قدمت فاطمة في الميعاد المتفق عليه.

وجلست مع رهام في حجرة الصالون، وتجادبتا أطراف الحديث، ثم
أخبرتها أنها تقرأ كتابًا عن استحضار الأرواح، فلم تفهم رهام
قصدها في البداية.

فوضحت لها صديقتها أنها يمكن لها أن تستحضر روح من ماتوا،
وأوضحت فاطمة أنها إذا عملت هذه الجلسة، فسوف تقرأ بعض
الكلمات على شخصية تسمى "الوسيط" في جلسة خاصة بهذا الأمر
حيث يجلس ثلاثة أو أربعة في شكل دائرة، ويرددون بعض
الكلمات؛ لتحضر الروح، فيسألونها عما يريدون معرفته منها، ثم

أخبرتها أن الموضوع شيقٌ، ومثيّرٌ، وهي تود تجربته، ولو مرةً واحدة حتى تستحضر روح جدتها الحبيبة التي توفت منذ فترة، وتشتاق إليها.

فاستغربت رهام، ولم تكن مصدقة في البداية، ولكن بعد أن شرحت لها فاطمة

بعض التفاصيل صدقت، وأخبرتها برغبتها في الحضور إذا نويت فاطمة تنفيذ ما قرأته في الكتاب.

انصرفت فاطمة، وتركت أسئلة عديدة في رأس رهام، وفي الحال دخلت رهام على موقع جوجل على اللاب توب الخاص بها؛ لتعرف بعض المعلومات عن استحضار الأرواح، وكيفيةها وجدوى ذلك.



الجلسة السرية

قرأت رهام معلوماتٍ مخيفة عن هذا الأمر، فبدا وكأنه حلمٌ مفرغٌ وصف الموضوع على جوجل أنه جلسات تحضير الأرواح، وأنها عبارة عن جلسات شيطانية خادعة، يسقط فيها كثيرٌ من الأبرياء؛ فمثلًا: إنسان فقد عزيزًا لديه، ويريد أن يتحدث إليه، أو إنسان يريد أن يستشير أحد الموتى في أمر ما، والحقيقة أن الشيطان يتقمص شخصية الإنسان الميت، ويقلد صوته، ويتحدث إلى مريديه، كما أنه يتحدث أحيانًا بصوت خافتٍ، وكأنه حضر من عالم الأموات. فانزعجت رهام كثيرًا، وتخيلت كل ذلك، وهو واقعٌ ستعيشه مع صديقتها، لكن الموضوع كان شيقًا لدرجة أنها واصلت البحث، فقرأت مزيدًا عن الأمر.

المكان يجب أن يكون مظلمًا، وأي نافذة بالحجرة تغطى بنسيج أسود، ويوجد بالغرفة منضدة جانبية، عليها مصباح أحمر، كما يوضع بالحجرة طبق به ماء .. ويشترط في الجلسة الهدوء التام، والالتزام في الجلوس. فلا يضع أحد ساقًا على ساقٍ، أو يده على الأخرى، وأي حركة مفاجئة، قد تؤذى الوسيط، وتؤدي إلى موته. ويلتزم الوسيط بعدم أكل وجبة دسمة لمدة ثلاث ساعات، أو منذ بداية اليوم .

ضحكت رهام بملءٍ شديقها من هذه التخاريف، وقالت يا إلهي.. كيف كنت سأقدم على هذا؟!!!

وما زاد الطين بلة أنها قرأت أكثر وأكثر عن نزلاء مستشفى المجانين، وعن العالم النفسى الذى يدعى "هاند بندر" بجامعة فرايدج الذى قال: "عندى كثير من المرضى الذين يعانون من الاضطرابات العقلية الخطيرة من خلال استخدام مثل: هذه الممارسات. فإن شخصياتهم قد انفصمت، وتمزقت، وتشوهت تمامًا بواسطة الأرواح التى حضروها فى جلسات تحضير الأرواح." (ص ١٥٩ كتاب الظلمة الآتية على العالم)

انتهت رهام من قراءتها الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وعزمت على الاتصال بفاطمة فى الصباح من أجل تحذيرها، وشرح خطورة ما هى مقدمة عليه.

فى الصباح وفى تمام الساعة العاشرة اتصلت رهام بفاطمة: لإفهامها ما قرأت، وتحذيرها؛ ولكنها لم تجدها، فأتجهت إلى كليتها، وانشغلت باقى اليوم ولم تحاول الاتصال بصديقتها ثانية .

رؤية غير متوقعة

فى المساء اتجهت رهام إلى فراشها بعد أن تناولت وجبةً سحورٍ مع والدها ووالدتها. وكانوا جميعًا متفقين على صيام اليوم التالى بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج.

نامت رهام وعائلتها بعد أداء صلاة الفجر، وأثناء نومها شاهدت أيمن للمرة الثانية وكان هذه المرة مرهقًا جدًا يبدو عليه القلق، وقال لها أحسنتِ صنعًا أنكِ رفضتى حضور جلسة تحضير الأرواح التى عقدتها صديقتك فى منزل جدتها القديم نجاك الله فى اللحظة

المناسبة، فقالت بقلق: ماذا حدث لفاطمة؟ قال لها: اسألي عنها ستعرفين. أخبري أمي أنني بخير، وأني لم أكن أقصد أن أصل إلى هنا.

فقالت رهام بتعجب: كيف ذلك لقد انتحرت بإرادتك؟! فرد عليها: أبداً.. ثم استيقظت من نومها. كانت تتصبب عرقاً منزعة خائفة، وأخذت تتذكر كل كلمة قالها لها طيف أيمن، وارتعدت حين تذكرت فاطمة صديقتها، ثم تركت الفراش، واتجهت إلى الحمام وغسلت وجهها، واستعدت؛ لتجهيز الإفطار مع والدتها، لكن أمها لم تكن قد استيقظت بعد

فذهبت لإيقاظها ولكن أمها قالت لها: هل نسيتي؟ كلنا صائمون اليوم. فلما العجلة في الاستيقاظ؟

فوضعت يدها على رأسها، وقالت: أأخ.. لقد نسيت بالفعل، لا أدري ما بي اليوم. أنا مضطربةٌ بعض الشيء.

ثم اتجهت إلى حجرتها، وارتدت ملابسها، وخرجت في طريقها إلى الكلية.

أمضت اليوم كله، وهي شاردة تفكر في الحلم الذي رآته، وحاترت في تفسيره،

وفي طريق عودتها إلى بيتها، قابلت أحلام أخت فاطمة، وهي تمضي مسرعةً في الشارع المواجه للمنزل فسألتهما ماذا بك؟

فردت عليها أحلام بعجلة: فاطمة.. فاطمة.. وجدناها أمس في شقة جدتي بالدور الأرضي من منزلنا، ولا يخفى عليك أنها شقة مهجورة

منذ زمن، ربما لم يدخلها أحدٌ منذ ماتت جدتي. فقالت رِهام في تعجبٍ وماذا في ذلك الأمر؟!

قالت أحلام: لقد وجدناها فاقدة للوعي، وعلى وجهها آثار جروح، ويبدو أن اثنتين من صديقاتها كانتا معها؛ لأننا وجدنا آثار أقدام، وأحذية لأكثر من أحد عذراً لا بد أن أسرع؛ لأننا نقلناها للمستشفى، وهم هناك يستعجلونني.

فقالت رِهام بعد أن أصفر وجهها، اذهبي أنتِ الآن، وأنا سأطمئن عليها فيما بعد.

مرت ساعة على رِهام، وهي جالسة في حجرتها، وقد تجمدت أطرافها لا تستطيع الحراك. تتذكر الحلم، ولا تعرف من سوف تخبره عما رأت.

ثم فجأة تذكرت رسالة أيمن التي حمَّلها إياها؛ لتخبرها أمه، وعزمت في نفسها على أن تحكى كل شيء لوالدته ربما وجدت عندها تفسيراً يريحها.

بعد قليل استغلت رِهام ذهاب والدتها مع أبيها لطبيب الأسنان؛ لحشو ضررسها الذي يؤلمها منذ فترة طويلة، واتجهت إلى شقة أم أيمن؛ لتتكلّم معها، وتقص عليها رؤياها، دق جرس الباب ففتحت أم أيمن، وابتسمت ابتسامة حنونة، ثم قالت تفضلي يا ابنتي تفضلي أنا هنا وحدي، لقد خرج أبو أيمن مع عمر؛ لشراء بعض الملخصات. أنتِ تعلمين أن الامتحانات على الأبواب.

فدلقت رِهام إلى الداخل، واتخذت مقعدًا يطل على باب الشقة؛ ليسهل عليها متابعة أى دخول أو خروج منه؛ لأنها مضطربةٌ متعجلة بسبب عدم إخبار عائلتها بزيارة جارتهم، وتخشى من رد فعلهم.

بدأتها أم أيمن ماذا تحبى أن تشربى؟ قالتها وهى واقفة باتجاه المطبخ، فردت رِهام شكرًا يا خالتي، لا شيء، هناك شىء هامٌ حدث لى.

فانزعجت أم أيمن، وجلست على الكرسي فى الحال بالقرب من رِهام وقالت: ماذا بك؟

قالت رِهام، وهى رافعة حاجبيها بصوت هامسٍ: لقد رأيت أيمن فى المنام أمس، وكلمنى وأخبرنى عن شىء، ووجدته حدث بالفعل .

تعجبت الأم وقالت ماذا أخبرك؟

قالت أخبرنى عن صديقتى فاطمة أنها ذهبت لشقة جدتها أمس، وأصابها مكروه وأنى حالفنى الصواب إذ لم أكن معها .

قالت الأم وماذا أيضًا ؟

قالت رِهام حملنى رسالة لك. أخبرنى، أن أقول لك: إنه لم يكن يقصد الرحيل، وأن هذا حدث رغبًا عنه، وأنه بخير. تعجبت الأم،

وقالت ماذا يقصد، وكيف ذلك؟!

ألم يلقي بنفسه من الشرفة فى الدور الخامس ومات على أثر ذلك؟! قالت رِهام هذا كل ما قاله، وصديقى لقد تعبتُ من التفكير، ولا أجد تفسيرًا لكلماته.

هذه رؤية، وليست حلمًا عاديًا يا رهام خاصة وأن جزءًا منها قد بدأ في التحقق لذلك انتبهى لكل كلمة يقولها لك بعد ذلك، وأخبريني على الفور.

طبعًا يا حبيبتي، سأخبرك على الفور: لنفكر سويًا في معاني كلماته. عادت رهام إلى شقتها، فوجدت والدتها لم تعد بعد. فبدأت في البحث على اللاب توب عن تفسير بعض الأحلام، وكيف تحاول الاتصال بأرواح مَنْ رحلوا، ولكن ضمن كل ما قرأت لم تجد شيئًا عمليًا، أو مقنعًا. فأغلقت الجهاز، وذهبت إلى الشرفة التي تطل منها على الشارع حيث سقط أيمن، وجالت في خاطرها أفكار، وخواطر، وحدثت نفسها بأنها لو كانت تعلم أى شىء عن حياة أيمن ربما كانت ستحل هذا اللغز ببعض التفكير. وظل ينمو في خيالها هاجسٌ بأن أيمن لم ينتحر، وإنما قد دفعه أحد، أو قذف به أحد، ومن يدري ربما تكتشف الحقيقة عما قريب.



فتاة ساحرة

ذهبت رهام للكلية كالعادة وفي أثناء محاضرة مادة المحاسبة لفت نظرها أن لاحظت إحدى فتيات الدفعة جالسة في الصف الأمامى المقابل لرهام، وهى تراها جيداً من الخلف، وكانت تكتب كلمة على ورقة صغيرة قرأتها رهام بوضوح، وهى كلمة (أنا أيضاً أحبك) ثم طوت الورقة، وأعطتها لزميلها الشاب الذى يجلس بجوارها دون أن يلحظ أحدٌ ما يحدث فيماعد رهام التى ابتسمت بخجلٍ بينها وبين نفسها؛ لأنها عرفت بالصدفة سرهما.

وكانت هذه الفتاة تدعى "جيلان" بارعة الجمال حقاً يطلقون عليها من جمالها "الساحرة" بشرتها بيضاء جداً فى بياض اللبن، وعيونها عسلىة لامعة، وشعرها مثل شلالات الحرير الأسود كل من يراها لا يرفع عينيه من عليها. فهى صاحبةُ جمال لا تُخطئه العين. لم تكن صديقة لرهام، ولكن كانت صديقة صديقتها لبنى، التى عرفتھا عليها فى اليوم نفسه. ويا للعجب حيث إن رهام وبالصدفة تعرف عنها ما لا يعرفه أحدٌ سواها فشاءت الأقدار أن يكون مسكنها فى طريق مسكن رهام نفسه. وقالت لها جيلان: تعالى معى يا رهام؛ لأوصلك فى طريقى بسيارتى. فأنا لا أحدَ معى اليوم.

فأجابتها رهام بإحراج مشوب بالتحسب للأمر: شكرًا. لا أحب أن أضايقك، أو أن أتسبب لك فى أى تعبٍ.

قالت جيلان وهي تتجه لسيارتها "اللانوس السمراء": أبدأ.. تفضلي
تفضلي. أنا أحب أجد من ترافقي؛ لأن الطريق طويلٌ .
فتحرجت رهام، وشعرت أنها تورطت في قبول أن تقلها زميلتها التي
لم تعرفها سوى اليوم. ويبدو أنها ترفع التكاليف بسرعة، وتعتاد
على الناس بسهولة على النقيض من رهام التي تتحسب لكل أمر،
وتفكر جيدًا قبله. ولم تجد بُدًا من الركوب معها فقادت جيلان
السيارة بسلاسة، وبدأت في التحدث مع رفيقتها فقالت:
لم ألاحظ أنك معي في الدفعة من قبل فهل كنت متغيبه عن
الكلية؟

فردت رهام: في الحقيقة لم أنتظم في الكلية مؤخرًا بسبب ظروف
حدثت معي .

فقالت جيلان: ولذلك ترتدين اللون الأسود؟
نعم، فعلاً .

فأجابتها جيلان: صدقي، لا حزنٌ يدوم، ولا فرحٌ يدوم..
لقد فقدتُ أبا في حادث سير بالطريق منذ عام واحد، وكنت أظن
أن الدنيا ستقف عند ذلك. كنت أبكى ليلاً نهارًا. وأرى الدنيا سوداء
في عيني، ولكن شيئًا في شيءٍ يلهمنا الله السلوان.
قالت رهام: أتمنى أن أنسى؛ لكي أنام بهدوء مثل الماضي.
وبدأت صداقة بين رهام وجيلان فكانتا تذهبان إلى الكلية معًا،
وتعودان معًا كما كانتا تتقابلان أثناء المحاضرات، وتتناولان شرابًا

دافئًا بين المحاضرات، وأحيانًا بعض السندويتشات إذا كان اليوم مليئًا بالمحاضرات .

هذا لا يمنع تعرضهما لبعض المضايقات والمعاكسات أحيانًا بسبب جمال جيلان، وتطفل، وتجروء بعض الطلبة بالكلية. وكانتا تفضلان عدم الرد، والسير كأنهما لم يسمعا شيئًا تجنبًا للتمادى فى المضايقات من الشباب.

دق جرس الهاتف فى منزل رهام وكانت جيلان على الطرف الآخر من الهاتف تخبرها أنها ستتم خطبتها يوم الخميس القادم، وهى أول من تخبرها؛ لتجهز نفسها للحضور إلى الحفل.

فأجابتها رهام: مبارك لك، يا حبيبتي. طبعًا سأحضر. خبر جميل جدًا، ومن صاحب الحظ السعيد؟

فردت دكتور "محمد هلال" أستاذ الإحصاء بالكلية.

فعدت المفاجأة لسان رهام وسكتت، ثم قالت مبارك لك .

جلست رهام فى ردهة المنزل أمام التلفاز مع العائلة، وهى لا ترى، ولا تسمع شاردة.. كل تفكيرها فى الفتاة التى وافقت على الزواج ممن لا تحب برغم أنها صارحت زميلها أمام عينيها بأنها تحبه، فتعجبت وحاتت وفكرت فى أن تستوضح الأمر من صديقتها، ولكنها تراجععت، وخافت أن تتهمها بالتلصص عليها، وإفشاء أسرارها، وربما اتهمتها بالغيرة منها؛ لأنها ستتزوج دكتورًا فى الجامعة، يُدرس لهما. ثم قالت: له فى شئونه حكم، ربما سأعرف الحقيقة بعد حين.

مرت عليها جيلان؛ لتقلها إلى الجامعة كالعادة فسألتها رهام بتودد هل تحبينه؟

فردت جيلان بصدق: سأحبه بعد الزواج يكفى أنه يحبنى.

فقالت رهام بتعجبٍ، وقد تغير لون وجهها:

كيف ذلك؟! وماذا يضمن لك هذا؟!

فردت جيلان صدقينى يا عزيزتى الحب ليس كل شىء

المهم التكافؤ.. التفاهم.. الاتفاق..

ألم تشاهدى مسلسل الحب وأشياء أخرى؟

فردت رهام طبعًا شاهدته، ولكنه لا ينفى ضرورة الحب، ولكن

بالإضافة لأشياء معه، وليس وحده. كما لا تكفى هذه الأشياء

بدونه.

فقالت لها جيلان بتأثر:

لم أنل من الحب سوى العذاب، والدموع، والوجع.

إذن فقد عرفتيه!!

نعم بالطبع ومن منّا لم يعرفه.

ولماذا لم تكتمل القصة؟!

لأن هذه هى سنة الحياة. المحبون لا يتزوجون فى العادة إلا نادرًا،

ولابد أن تكون القصة ناقصة؛ إما التوقيت غير مناسب، أو

المستوى غير متقاربٍ أو الأهل يرفضون، أو نفاجئ بأنه حبٌّ من

طرف واحد. المهم ألا تكتمل القصة أبدًا.

فقالَت رِهَام: أختلفُ معكِ، إذا كنتُ أحب، فلا بد أن أدافعَ عن
سعادتي، وأدلل الصعاب.

فقالَت جيلان: ليس بهذه السهولة، أحيانًا تأتيكِ النذالة من
الطرف الآخر الذي قد يظن أن الحبَّ للأبد، وبدون ارتباط يكفى
جدًا.

تعجبت رِهَام مما سمعت، وفهمت ما لم تكن تفهم، وحمدت الله
على أنها لم تفصح بما جال في خاطرها.

* * *

الصديق الحميم

مرت الأيام، واستمرت صداقة رهام وجيلان كما هي بعد خطبة جيلان. وفي أحد الأيام كاننا معًا في الكلية بين المحاضرات، وأثناء جلوسهما في "الكافيتريا" دعت جيلان صديقتها؛ لحضور حفل الفرقة الذهبية، وهى الفرقة الموسيقية التى اشتهرت مؤخرًا بمعزوفاتها الرائعة المستوحاة من الموسيقى الكلاسيكية العالمية؛ لأمثال: شوبان، وبيتهوفن، وموتسارت. وكانت تتجول في ربوع البلاد؛ لتنشر ذلك الفن الراقى، ولترتقى بأذواق العامة، كما أعلنت في الصحف من قبل. وكان خطيبُ جيلان عازفًا للكمان في الفرقة، وقد اتخذها كهواية بجانب عمله في الجامعة.

ففرحت رهام، ورحبت. فهى من عشاق هذا الفن. وفور عودتها إلى المنزل، استأذنت أمها في أن تلبى دعوة صديقتها؛ حتى لا تغضب وحرصًا منها على مشاركتها في سماع هذه المقطوعات الجميلة . فلم تمنع الأم خاصة، وهى كانت تتمنى أى فرصة لإسعاد ابنتها التى رأتها تذبل يومًا بعد يوم. منذ الحادث الأليم.

وفي ميعاد الحفلة مرت جيلان على رهام كما اتفقتا، ونقلتها إلى النادى المقام فيه الحفلة، واتخذتا مقعدين متجاورين. كان خطيبُ جيلان قد قام بحجزهما مسبقًا. وكانت رهام مستمتعة بالحفل جدًا، وتصفق بحرارة؛ لأنها أول مرة تشارك فى حدث كهذا وشكرتهما كثيرًا قبل أن ترجع لمنزلها فى الواحدة صباحًا.

فى الؤوم التالى لم تأتِ جيلان للكلية؁ وبقث رهام وحدها طول الؤوم وفى الاستراحة بين المحاضرتين أرسل د.محمد خطيب جيلان يستدعى رهام إلى مكتبه فى الكلية؁ فقلقت رهام من هذا الاستدعاء؛ ولكنها لبّته على الفور؁ واتجهت إلى مكتبه ثم طرقت الباب ودخلت فحياها مبتسماً؁ وقال لها لماذا لم تأتِ جيلان الؤوم إلى الكلية؟

فأجابته وهى مازالت مضطربةً؁ تبدو على وجهها علامات القلق؁ وعدم الارتياح: الحقيقة لا أعلم. هى لم تمر على الؤوم كعادتها؁ سوف أتصلُ بها بالهاتف بعد نهاية الؤوم الدراسى.

فقال لها: حسناً؁ ما رأيك فى حفل الأمس هل أعجبك؟

بالطبع كان رائعاً. أنا حقاً أعشق هذا الفن كثيراً..

فقال لها: كان لى صديقٌ يعزف الجيتار؁ كان ماهراً جداً لو كنت سمعته كان سيروق لك عزفه أكثر منى.

فردت عليه بابتسامة خجلة: ربما يحالفنى الحظ؁ وأستمع إليه فى المرة القادمة.

فقال: للأسف.. لن يحدث؛ لأنه توفى منذ أربعة أشهر.

فبدت عليها علامات الدهشة وقالت: ماذا؟! لا حول ولا قوة إلا بالله..

قال لها: هل تعرفيه؟ كان يقطن فى الشارع نفسه الذى تسكنين فيه؁

فتابعت، وهى تبتلع ريقها بصعوبةٍ، وتحبس أنفاسها، ونطقت بصوت

مرتعش، ما اسمه؟

فقال: أيمن عبد الحميد بسيوني كان طالبًا فى كلية الحقوق وكان يتمنى

أن يلتحق بالمعهد العالى للموسيقى العربية - رحمة الله عليه-.
وعندها شعرت رهام بدوار شديد، وكأن الأرض تلف بها، فسقطت على الأرض مغشيًا عليها.

فوجئ د.محمد برد فعلها غير المتوقع، ولم يدر كيف يتصرف؟! نظر على مكتبه، فوجد كوبًا من الماء، فأخذه بسرعةٍ، ونثر بعضه على وجهها، فارتد إليها وعمها، وبدأت تفيق، فنقلها إلى الكرسي الذى على يمين المكتب، فقام وسندها مساعدًا إياها حتى تجلس ثم سألها عما أصابها فقالت: أيمن كان جارى فى العقار نفسه. وقد شاهدته فور سقوطه من شرفة شقته بالدور الخامس من المنزل نفسه الذى أقطنه، ومن يومها لم أنس ما رأيت. صورته لم تغادر خيالى.

تأسف كثيرًا، وقال لها لم أكن أعرف. أرجو أن تكونى بخير. ولنا جلسة أخرى؛ لأنى متشوقٌ؛ لمعرفة ما حدث له بالتفصيل منك.. معذرة، فقد كنت مسافرًا للخارج فى ذلك الحين، وأيمن كان من أصدقائى المقربين.

انصرفت رهام، وعادت للمنزل. وهي منهكة تتداعى الأفكار في عقلها بعد أن تذكرت الحادث بكل تفاصيله.

لم تنم رهام في ليلتها، وظلت مؤرقة حتى الفجر، ثم نامت بعد أن صليت الفجر

بساعة، وعادت إليها الأحلام المزعجة مرة أخرى. فرأت أيمن مضرجاً بدمائه، ورأت الناس تجرى من حوله، تبحث عن إسعاف ولم تجد، فاستيقظت فزعاً، ثم غسلت وجهها؛ لتفريق وجلست منكّسة الرأس كاسفة البال.

استيقظت والدتها مبكراً في ذلك اليوم، وما إن رأت ابنتها في هذه الحالة؛ حتى انزعجت، وسألتهما وألحت عليهما في السؤال؛ لتعرف ما أصابها، ولكنها ظلت صامتة لا تجيب، ولا تعرف ماذا تحكى؟! فاتجهت الأم واجمةً إلى غرفة والد رهام وعلى وجهها علامات القلق والخوف، وقالت له: لا بد أن يفحص الطبيب النفسى رهام. أنا أخشى عليها..

فقال الأب ماذا أصابها؟

أجابته: وهي تصيح بصوت متهدجٍ: تعانى من الاكتئاب، يجب أن تتصرف

قبل أن تتأخر حالتها ونفقدتها.

فصمت الأب لبرهة ثم اتجه إلى ابنته؛ ليطمئن عليها: فسأل أحمد أحد أصدقائه عن طبيب نفسى جيد حتى يذهب إليه مع ابنته،

فأشار عليه أن يذهب إلى دكتور طارق سعيد، وهو ممتاز حيث كان يعالج ابنه عنده من الإدمان، وحقق معه نتائج جيدة.

وفي اليوم التالي ذهبت رهام مع والدها؛ لزيارة الطبيب النفسى بعد إلحاح والدتها في ذلك الأمر. وكانت رهام رافضة في البداية، ولكن استمر أمها وأبيها في إقناعها وكانا بالفعل خائفين بعد ما حدث لأيمن كما قال لها أبيها: سوف يريحك مما تعاني صدقينى، وسترجعى إلى سابق عهدك من النوم الهائى، وراحة البال.

فوافقت على مضضٍ، وفي عيادة الطبيب فوجئت بأن عدد المرضى كبيرٌ على عكس ما كانت تتوقع، فانتظرت مع والدها ساعتين حتى حان دورها، ودخلت للطبيب.

في البداية كانت تنوى أن تقص عليه كل متاعبها النفسية المتراكمة منذ أعوام، ولكن لم يطلب منها الطبيب أن تحكى متاعبها بكل التفاصيل، كما تعودنا أن نرى في الأعمال الدرامية. وإنما سألها عما تشكو منه، ثم سألها عن بعض الأعراض.

إن كانت تحس بها فأجابته بالإيجاب، فقال لها: أنتِ بالفعل تمرين بحالة اكتئاب حادة، وسأعطيك نوعين من الأقراص يوميًا لمدة ثلاثة شهور على أن أراك كل أسبوعين مرة للاطمئنان عليك .

تناولت رهام العلاج بانتظام، ومن ثم استطاعت أن تنام بعمق لأول مرة بعد الحادث..



حقائق تُتكشف

ذهبت رهام للكلية مع صديقتها جيلان كعادتها، ولم تخبرها بأمر الطبيب النفسى خوفاً من أن تتغير معها إذا علمت، ولكن خطيب جيلان استدعاها؛ ليسألها عن حادث مصرع صديقه أيمن، وماذا تعرف عنه؟

فأخبرته أنه رأته بعينها، وأنه من الصعب عليها أن تتحدث بالتفاصيل، ولكنها سمعت أنه قد انتحر كما قيل وقتها، فقال لها: لا.. لا يمكن أن يفعل ذلك. أنا أعرفه جيداً، هو يخاف الله.

هنا تذكرت الرؤية التي رأتها بعد الحادث، وماذا قال لها أيمن فاحتارت في الأمر. وقالت له: بما أنكما كنتما أصدقاء. فمن وجهة نظرك، كيف يكون أيمن قد سقط؟

اعتدل دكتور محمد في جلسته ثم قال:

لا أدري بالضبط الموضوع، يحتاج إلى بحث وتدقيق وسؤال من معه في المنزل .

ففكرت رهام بعمق، وقالت له: لما لا تأتي؛ لتقديم واجب العزاء لأُسرتِه وربما بالحديث معهم تصل إلى شيء.

فراقت له الفكرة، وقال لها: أنتِ على حقٍ سأحضر قريباً مع خطيبتي؛ لتقديم واجب العزاء.

انصرفت رهام وحدها من الكلية؛ حيث إن جيلان كانت ستذهب مع خطيبها؛ لتناول الغداء معاً.

ما أن وصلت رهام للمنزل حتى وجدت صوتاً عالٍ، وحركة غير عادية في البيت فسألت أمها عما حدث. فأخبرتها أن والد أيمن الأستاذ عبد الحميد قد تم نقله إلى المشفى اليوم حيث سقط مغشياً عليه اليوم بعد صلاة العصر.

فلاحظت رهام غياب والدها عن الغداء، وعندما سألت والدتها أين أبي يا أمى؟

لقد ذهب إلى المشفى مع جارنا الأستاذ عبد الحميد .

وفي المساء عاد الأب وعلى وجهه علامات الإرهاق وقال لزوجته: والله يا آمال لو نجى الله عبد الحميد منها فسيكون كُتب له عمر جديد..

قالت آمال بقلقٍ: لماذا أخبرنى؟! هل حالته صعبة إلى هذا الحد؟ نعم، للأسف.. لقد أخبرنا الطبيب أنه أصيب بجلطتين في المخ مما سببتا له شللاً بالقدم والذراع، ولن تستقر حالته قبل مرور ثلاثة أيام .

وما حالة هدى زوجته؟

والله كانت تائهةً، تبكى حيناً، وتشرد حيناً آخر. ربنا يلفظ بها، لم تفق بعد من وفاة ابنها، وها هو زوجها الآن يسقط أمام عينها. طرقت رهام باب حجرتهما، ثم دخلت بعد أن سمحا لها بذلك، وسألت والدها عن حالة جارهم. فأخبرها أنه يعاني من الجلطة، ويستحق منهم جميعاً الدعاء.

عادت رهام إلى غرفتها وجلت، وقد ضاق صدرها لما سمعت من خبر جارهم. فقد كانت ترأف بحال هدى والدة أيمن فهي امرأة طيبة ورقيقة القلب مملوءة بالحنان وتعانى كثيراً من الألم لأجل أسرته. إذا أصابهم صائب. وهنا أخذت تدعو الله لها ولزوجها أن يأخذ الله بأيديهما، ويخفف من آلامهما.

وفي صباح اليوم التالي، وهو يوم الجمعة اتصلت جيلان برهام. وأخبرتها أنها وخطيبها سيأتيان؛ لزيارة أسرة أيمن من أجل العزاء. فردت عليها رهام؛ ولكن الأسرة كلها بالمشفى حيث سقط الأب مريضاً وزوجته وابنه يرافقانه طول اليوم.

فتأسفت لها جيلان، وقالت: سوف نؤجل ذلك الواجب ريثما يعودوا جميعاً للمنزل فيما بعد، كما دعت للأب بالشفاء العاجل. مرت ساعتان، وسمعوا جميعاً طرقات على الباب، وكان الطارق هو عمر أخو أيمن.

دخل عمر إلى الشقة بعد أن رحبت به أمال، ودعته للجلوس، وجاء زوجها؛ ليستطلع الأمر. فسأله عن حال والده بالمشفى، فرد عليه بحزن شديد. أنا لجأت إليك يا عمي؛ لتأتى معى حتى نشترى له كرسيًا متحركًا بعجلات؛ ليقله حيث إن أبى لن يمشى بعد الآن. امتص الجميع الصدمة، وحاولوا التخفيف عن الولد، وقالوا أن عديدًا من الناس فى هذه الأيام يتعرضون لذلك نتيجة لضغوط الحياة.

فقال الولد: لا يا عمى، أبى كان بخيرٍ، لولا أن أمى ذكرته بما حدث للمرحوم أيمن، ولمحت له أنه السبب في ذلك، لو كان وافق على ما أراه أيمن لكان معنا اليوم.

فقال الأب: لا حول ولا قوة إلا بالله. يجب أن تنسى هى الأخرى، وتكف عن ذلك فقد أذت مشاعر زوجها، وسببت له الانفعال وربما كانت فقدته هو الآخر بسبب تلك الكلمات التى لن تعيد الماضى، ولن تُرجع من فُقد.

قال كلماته، ثم دخل حجرته: ليرتدي ملابسه، ويخرج مع الولد. بعد ثلاث ساعات عاد الأب بعد أن ساعد عمرَ في شراء الكرسي، وتوصيله إلى المشفى؛ كي يستخدمه المريض، ويعتاد عليه.

صباح يوم السبت تم نقل الأستاذ عبد الحميد إلى المنزل بصحبة زوجته، وابنه، وأخيه وبعض الجيران، ودخل الأب المنزل محمولًا على الكرسي، لا يكاد يتحرك وحده. وجميع من حوله يرثون لحاله، ويدعون له بالصبر والشفاء.

وفى اليوم التالى فى الكلية تحدثت رهام مع جيلان، وأخبرتها أن أسرة أيمن قد عادت إلى المنزل، ويمكنها هى وخطيبها أن يأتيا للعزاء. فأجابها جيلان: حسناً، سأخبر محمدًا، ولكن لى رجاءً.

خير ما هو؟

أن تذهى بصحبتنا؛ لأننا لا نعرف الأسرة، وسنقع فى حرج بعد ما حدث لوالده،

وأن نخبرهم أننا سنأتى مساء اليوم فى السابعة للعزاء.

فقالَت رِهَام وهى شاردةٌ قليلاً: لا مانعٌ سأرافقكما إليهم.
وعند عودتها للمنزل اتصلت هاتفياً بجارتهم هدى والدة أيمن؛
لتخبرها عن موعد زيارة صديق أيمن، وخطيبته للعزاء .
وبالفعل فى تمام الساعة حضرا للعزاء، واستأذنت رِهَام أسرتها؛
لمرافقتها بناءً على طلب صديقتها جيلان فلم تمنع.
وعندما دخلوا إلى الشقة جلس الثلاثة فى حجرة الصالون، ودخل
عليهم والد أيمن جالساً على كرسى بعجل، يصحبه ابنه ويجرُّ
الكرسى ببطء، كما تبعتهم أم أيمن. وجلس الجميع ورحبت الأسرة
بالضيوف. وقدم د محمد نفسه إليهم قائلاً: أنا صديق أيمن
المقرب، وكنت أعمل معه فى الفرقة الذهبية للموسيقى كأحد
أنشطة الكلية، وكان ابنكم عبقرىً فى عزف الكمان رحمة الله عليه.
فقالَت أمه: أعلم ذلك، ولكنها إرادة الله أن يحرمننا من نور عيوننا
سريعاً فأيمن لا يمكن تعويضه:

فقالَت جيلان: أنا آسفة. يا خالتى، أن ذكرناكم بالحادث المؤلم.
فردت الأم دامعة: والله ما نسيته للحظة، وإلى آخر يوم فى عمري
سأذكره وأشعر بالذنب. هنا انطلقت الدموع تسيل من عين والد
أيمن، وقال: لله ما أعطى، ولله ما أخذ.
فقال د.محمد: لا أصدق أن أيمن يفعلها. مستحيل هو كان محباً
للحياة، لديه آمالٌ كثيرة.

فقالَت الأم: المفاجأة كانت قاسيةً وصدمننا جميعاً.

أدركوا جميعًا أن الحديث لا يتحمل أكثر من ذلك، وأن حالة الأبوين صعبةً، ويكفى ما هم فيه من كمد وغم. فأخبر محمد والد أيمن أن يعتبره مثل ابنه، وألا يقطع الصلة بينهما، وأنه سيكون سعيدًا إذا رد لأيمن بعض من أفضاله عليه في والديه، كما أكد على عمر أن يتصل به، وأعطاه رقم هاتفه، وقال له: إنه في انتظار أن يصبح صديقين، كما كان صديق لأخيه ربما استطاع أن يخفف عنه، وعن الأسرة، ويقف بجانبها في محنتها.

وفي اليوم التالي بالفعل اتصل عمر بمحمد صديق أخيه، وأخبره أن المدرسة سلمت له خطاب استدعاء ولى الأمر، وصعب عليه أن يصحب أباه أو أمه للمدرسة في هذه الظروف. فرحب به محمد، وقال له على الرحب والسعة. سأحضر معك غدًا؛ لنستطلع الأمر ثم أخذ منه عنوان المدرسة، وعرف الساعة التي تم تحديدها في الجواب .

وفي الميعاد المحدد مثل د. محمد مع عمر أمام مديرة المدرسة، وقص عليها بالتفصيل الظروف التي تمر بها الأسرة. وأخبرته المديرة أن سبب الاستدعاء هو تغيب عمر عن المدرسة، فاعتذر لها واعدًا إياها بعدم تكرار الغياب مجددًا. وفي طريق عودتهما من المدرسة طلب محمد من عمر أن يرسل له طلب إضافة على "الفيسبوك"؛ ليكونا أصدقاءً، وليمكنه التحدث إليه على الشات في الماسينجر يوميًا؛ ليطمئن عليه. ومنذ ذلك اليوم

نشأت صداقة قوية بينهما كان يدردشان سويًا في كل أمور الحياة باستمرار، واستطاع محمد من خلال حواراته أن يعرف عمر حق المعرفة.

وفي أحد الأيام أثناء حديثهما على الماسينجر قال عمر أنا أريد أن أخبرك بشيء يا دكتور محمد.

فقال له محمد باهتمام بالغ: خيرًا، قل ما تشاء..

فرد عمر: أتعرف ليلة سقوط أيمن من الشرفة؟ كنا معًا بعد صلاة الفجر في حجرتنا، وكنت أتفرج على التلفزيون والإرسال لم يكن جيدًا. فقلت لأيمن أرجوك أن تضبط لنا الهوائي. يبدو أن السلك قد تحرك من مكانه، أو قد سقط من الدش.

فقال لي، ولكني أشعر بدوار شديد ربما؛ لتناولي قرصًا من أقراص علاج البرد، وأريد أن أنام.

فقلت له: أرجوك، أن تفعل ذلك من أجلي، ولو حتى من شرفة حجرتنا، فوافق أخيرًا. وما إن صعد على الكرسي، ووضع إحدى قدميه على حافة الشرفة حتى سقط من الشرفة في الشارع، وأخذت أصرخ وقتها، وأبكي، ولا أدري بماذا أخبر أبي وأمي؟ وعلمت بعدها أنهما ظنا أن أيمن قد انتحر، وهو لم يكن ليفعل ذلك أبدًا. فهو متدينٌ ويعرف الله.

هنا صمت د.محمد لبرهة ثم قال: ولما لم تخبر أحدًا بذلك حتى الآن؟!

فرد عليه: لأنه لم يسألني أحدٌ..

صدقنى يا عمر، لو كنت أخبرت الجميع، كنت ستبرأ ساحة أخيك
مما علق به من إتهام بالانتحار، وتكون قد أرحت روحه إلى الأبد.
فصمت عمر وقال:

كنت أشعر بعذاب الضمير، وأتألم كلما تذكرتُ أننى السبب المباشر
لوفاة أخى الحبيب.

لا يا عمر، لست السبب.. هى أقدارٌ، وأنت لم تكن تعلم بما سوف
يحدث..

فبكى عمر بحرقةٍ وقال: لو كنت أعرف ما كنت فعلت..
هُنا قال له محمد:

لست مسؤولاً عن شئٍ، إنما معظمُ أدوية البرد تسبب الدوخة
والرغبة فى النعاس؛ لوجود مادة كيميائية بها تسبب الخمول،
والنوم. لتعالج الحساسية والرشح وأظن أن أيمن أيضاً -رحمة الله
عليه- لم يكن يعرف ذلك.

المهم أنك يجب أن تصارح والديك بما حدث، أو تتركنى أخبرهم
بطريقتى حتى يرتاحا هما أيضاً مما يشعران به من عذاب الضمير.
فوافق عمر على أن يخبرهم محمدٌ بطريقته؛ لصعوبة مواجهته لهم
فى هذا الأمر.

وقد حدث بالفعل بعد ذلك لقاءً لمحمد فى منزل المرحوم أيمن.
قص فيه على والديه ما حدث؛ ليشعرا براحة الضمير بعد طول
عذاب .



نهاية طال انتظارها

وفي خلال ذلك كانت رهام تواظب على تناول الدواء الذي كتبه لها الطبيب، وشعرت بتحسّن تدريجي، وواظبت على ذهابها للكلية، ثم انتهت السنة الدراسية وأثناء الامتحانات كانت تذهب للكلية مع صديقتها جيلان وتعودان سوياً وتراجعان الامتحانات والحل معاً. وفي آخريوم من أيام الدراسة قابل د. محمد جيلان خطيبته، وكانت رهام معها. فأخبرها أن شخصيتها تغيرت إلى حد كبير، وسألها عن سر هذا التغير، فأخبرته هو وجيلان عن موضوع زيارتها للطبيب النفسي، وحالة الاكتئاب التي أصابتها فقال لها:

هذا شيء طبيعي بعد ما شاهدته، والمهم أنك تغيرتي الآن إلى الأفضل، وصدقيني لا حزنَ يدوم، ولا فرحَ يدوم.
قالت رهام بعقلانية، وعلى وجهها علامات الهدوء:
فعلاً، "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا". ومادام الله أمامي في كل عمل أعمله أو حتى خاطرة تمر بقلبي أعلم أنه لن يضيعني.
فقالت جيلان:

لقد قرأت مؤخراً كتاب مترجم اسمه (حياتك الثانية تبدأ حين تدرك أن لديك حياة واحدة) هذا كتاب قيم جداً في مجال الطاقة الإيجابية سيفيدك كثيراً.

وقال لها د. محمد كما يمكن لك أن تستمعي إلى حلقات د. أحمد عمارة على اليوتيوب في هذا الموضوع، وأحاديث الشيخ محمد

متولى الشعراوى إمام الدعوة، ستأخذك إلى عالم آخر من المعرفة،
وستنير أيامك بأنوار الإيمان بالإقناع العقلانى.
ثم قص عليها محمدٌ ما عرف من أمر عمر، وما أخبره إياه عن
سبب وفاة أيمن، وكيف أنه لم ينتحر، وأن السقوط لم يكن
متعمداً، إنما كان رغباً عنه.
صُدمت رهام فى البداية، وبدا عليها علامات الاضطراب، ثم ما
لبثت أن هدأت وتفهمت ما حدث.

تمت



وادي الحيتان

لحظة فارقة في العمر

أشرفت الأرضُ بنور ربها وأرسلت أشعتها الذهبية إلى كل المخلوقات لتعلن عن بداية يومٍ جديدٍ يحمل معه الأمل للقلوب البائسة والسعادة لمن لا تعرف حياتهم إلا الشقاء. استيقظت سميرة من نومها عند الفجر وأدت صلاتها وقرأت ما تيسر

لها من آيات الذكر الحكيم والأذكار اليومية كعادتها، وكان اليوم الذي لا تصحوفيه تشعر بخيبة الأمل طوال اليوم؛ حيث يفوتها الدعاء اليومي لأولادها، ثم دلفت إلى المطبخ؛ لتقوم بطهي طعام الغداء للأسرة كعادتها قبل ذهابها للعمل. فوضعت الطعام على الموقد وقامت بتجهيز وجبة الإفطار لزوجها وبناتها.

كانت سميرة موظفة على الدرجة الأولى تحمل شهادة جامعية متخرجة من كلية الفنون الجميلة وتكفل حظها بأن تعمل في وظيفة لا تمت لدراستها بصلة، كانت تعمل في السجل المدني الخاص بالحى الذى تعيش فيه مع أسرتها في محافظة القاهرة حى الحسينية ونظرًا لاحتياجها للاستقلال المادى عن زوجها قبلتها على مَضَض حيث إنها علمت منذ بداية زواجها أن مشاركتها في تكاليف معيشة أسرتها لا تقل أهمية عن مشاركتها في تربية أبنائها وفي تدبير متطلبات حياتهم وقضت عشرين عامًا في هذه الوظيفة عسى أن تظهر لها وظيفة أخرى تتناسب مع دراستها وموهبتها. وكانت سميرة

متوسطة الجمال ولكنها تتمتع بنظرة ثابتة للأمور ونظرة فلسفية
قلما تخطئ كما أنها تزوجت كريم وعاشا في هذا المنزل منذ زمن
طويل.

كانت بداية اليوم عاديةً حتى الآن ومن غير المتوقع أن يحدث فيه
مفاجآت تقلب كيان سميرة وأسرتهما بالكامل.

اتجهت إلى حجرة النوم ، وهي تجفّف يديها في المحارم الورقية ثم
دخلت لتسمع المذياع الذى انطلق فيه صوت المذيعة بالجملة
الشهيرة " هنا القاهرة " وفي تمام الساعة الثامنة صباحًا سمعت
نشرة الأخبار في إذاعة البرنامج العام ولكن لفت انتباهها الخبر الذى
أذيع عن رحلة في مدرسة التوفيقية الثانوية وكانت متجهة إلى
الفيوم بالأمس. وقد فقدت 4 فتيات - سافرن في الرحلة - ولم تعثر
السلطات على أثرهن برغم تكثيف جهود البحث وجرى استكمال
التحقيقات بهذا الشأن .

سقطت زجاجة الماء من يد سميرة وصرخت ابنتي وقلبيها يقفز من
بين ضلوعها فهرع زوجها كريم إليها صائحًا ما بكِ؟!
ماذا حدث؟!

الرحلة.. البنات .. يوجد فتيات مفقودة سمعتُ الخبر في الإذاعة
الآن

كيف ومتى ردى أرجوكي؟؟

عقدت المفاجأة لسان سميرة ولم تجب وفي الحال اتجه إلى التلفاز
ليقف على أى خبر ويعرف ما حدث، ففوجئ بالأخبار تداع في التلفاز

في برنامج "صباح الخيريا مصر" على القناة المصرية الأولى بالكيفية نفسها مع صور لحافلة الرحلة وأحد المشرفين يقول لم نقصر ليس ذنبنا كنا معًا.. جميعًا .. لم نفترق. وفجأة اختفت الفتيات الأربعة ولا شُبهة لعملية اختطاف.

سقط قلب الأب في قدميه من الخوف وجرى إلى زوجته؛ ليخفف من حدة الصدمة فوجدها فاقدة الوعي .

في هذه اللحظة دخلت ابنته الكبرى فريدة وهي تصيح بابا ماما أما علمتم بما جرى كل الناس تتحدث عن الرحلة التي ذهبت فيها غادة وآية أخواتي، واختفت فيها ٤ فتيات.

الأب: كيف عرف الناس كل هذا ؟

فريدة: من مواقع "الفيسبوك" و"تويتر" يا بابا .

هيّا سريعًا.. والدتك مغشيًا عليها منذ علمت من الإذاعة هيّا لننقلها إلى المستشفى يبدو أنها "كومة سكر".

أسرعا معًا حاملين الأم ووضعوها في السيارة بسرعة واتجهوا إلى أقرب مستشفى لإسعافها.

في الاستقبال تم التحرى منهما عن صلة القرابة، وعمّا حدث بالتفصيل، ثم طُلب منهما البقاء بالخارج.. لحين إتمام الفحص السريري الأول عليهما. وعليكما انتظار النتيجة في الخارج .

وما أن كشف عليها الطبيب حتى طلب من الممرضات سحب عينة دم لإجراء تحاليل "السكر" و"الكوليسترول" وغيرها.

وفعلًا تم أخذ العينات للتحليل، وأخبرهما الطبيب أنه سيمر عليهما لاحقًا عندما يرى نتيجة التحاليل. كما أمرهما بعدم الدخول عليها لحين الانتهاء من تقرير الحالة .

مرت الدقائق عليهما ثقيلة.. الأب شاردٌ. يفكر في ابنتيه اللتين ذهبتا في الرحلة جُل ما يخشاه أن تكونا من الفتيات المفقودات ويفكر في زوجته التي سقطت بين الحياة والموت. ولا يعرفان كيف يطمئنونها بعد أن تُفيق وابنته فريدة فتاة الثانوية العامة التي لا تكاد تفرغ من الدروس الخصوصية والواجبات ولا تتحمل أى تغيير في حياتها في هذا الوقت بالذات.

ما إن رجع الطبيب حتى قام كريم وفريدة يسألانه عن نتيجة التحاليل فقال: إنها جيدة.. وطلب من الأب شرح ما حدث بالتفصيل قبل أن يقرر الحالة.

أخبره كريم بالخبر الذى نزل كالصاعقة على الأسرة، وبأنها ما أن سمعته حتى سقطت مغشيًا عليها.

فتوجه الطبيب لغرفة المريضة وبعد دقيقتين أخبرهم أنها قد فاقت ولكن ممنوع الكلام معها.

فنظرا إليها من بعيد، والدموع تترقرق في عينيهما.

ثم أخبرهم أنها تعاني من انهيار عصبي، ويلزمها الراحة التامة وممنوع عنها الزيارة تمامًا وأعطاهما مهدئًا؛ لتنام.

سأل كريم ابنته :

هل أذاعوا أسماء الفتيات المفقودات؟

فأجابت : ليس بعد يا أبى.

فقال: سأذهب إلى المدرسة؛ لأعرف كلَّ شيء.

اتجه الأب إلى المدرسة فورًا ليعرف التفاصيل بينما ظلَّت فريدة في المستشفى. وهى ممتعة الوجه ترتعد من الخوف على والدتها وإخواتها

ثم تذكرتُ أن تتصل بخالها؛ ليأتى ويكون بجانبهم فى المستشفى ربما طلبوا شيئًا وهى لا تُجيد التصرف فى هذا الموقف.

فرد عليها خالها أحمد إنه سوف يأتى إليها حالاً.

وبعد نصف ساعة جاء خالها أحمد خائفاً على أخته، وكان يردد " اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه " ..

وجلس مع ابنة أخته يستفهم منها عن كل ما حدث وكيف دخلت أخته المستشفى ولماذا؟



أخبار الرحلة

جلست غادة الأخت الوسطى لفريدة والتي كانت ضمن الرحلة في حجرتها بالفندق الذى نزلت فيه الرحلة تبكى وكانت في حالة مزرية يبدو عليها علامات اليأس وقد فقدت الأمل في عودة أختها الصغرى "آية" وأغمضت عينها وبدأت في استعادت شريط الأحداث الذى مر بها وقالت لنفسها: كيف حدث كل هذا؟ ولماذا؟ ومن المخطئ؟ ثم أخذت تتذكر كل شيء.

هن ثلاث فتيات "فريدة وغادة وآية" تتراوح أعمارهن بين العاشرة والسابعة عشر يدرسنُ بمراحل التعليم المختلفة. الأولى: فريدة في الثانوية العامة، والثانية: غادة خمسة عشر عامًا في الصف الأول الثانوى، أما الصغيرة: آية في الصف الخامس الابتدائي. والأب "كريم" فيعمل موظفًا في إحدى شركات المحمول ويعود من عمله في تمام الساعة السابعة مساءً. مرت الأيام بالأسرة بصورة طبيعية وهادئة وكانت الفتيات تتمتعن بقدر

من الأخلاق والذكاء أضفى عليهن تميزًا وجمالًا وجاذبية وروحًا مرحة

وفي أحد الأيام عادت غادة من المدرسة تثب من على الأرض من الفرحه وتحمل في عقلها أجمل الأمنيات، ثم قالت لوالدها: إنها تريد أن تشترك في رحلة المدرسة إلى مدينة الفيوم، وذلك في

الأسبوع المقبل وفي الحال أخبرتها والدتها أن حفل خطوبة ابنة عمها في نفس يوم الرحلة وكان يبدو على الأم علامات الثبات على موقفها.

وقالت لها: عليك أن تحضري مع الأسرة خشية أن تغضب منك ابنة عمك

حاولت عادة التفاهم مع والدتها وإقناعها أن يحضر الجميع بدونها ولكن أمها رفضت وأصرّت على حضورها. فحزنت عادة وقالت:

لماذا يحدث ذلك؟ الحفل في يوم الرحلة نفسه ؟
هكذا حظّي دائما ..

ودخلت غرفتها ورفضت تناول الغداء وفور عودة أخواتها من حصص الدروس الخصوصية قالت أهمهم :

يا فريدة قولي لأختك أن هذا لا يصح إذا غبتِ عن حفل خطوبة إيمان ابنة عمكم سوف تغضب منها وربما فهمت الأمر بصورة أخرى على أنها تشعر بالغيرة منها لذلك لا بد أن تحضر. قالت فريدة : سأخبرها يا أمي لا تقلقي.

عادة عاقلة.. ولن تعصى لكِ أمراً.

ثم اتجهت إلى غرفة أختها فوجدتها جالسة على الفراش وقد اغرورقت عيناها بالدموع، فقالت فريدة:

ما بكِ يا حبيبتي لماذا تغضبين أمي؟
قالت عادة لأختها:

منذ متى وأنا تتحقق أمنياتي ؟ منذ متى وأنا أجد من يهتم برأىي في ما يخصني ؟

وصلتُ خمسة عشر عامًا ولم أذهبُ في رحلة مدرسية واحدة حتى . وبكت فحاولت فريدة التخفيف عنها . وقالت لها أرجوكِ لا تغضبى ماما أنتِ تعلمين أن ضغطها يرتفع من أقل غضب وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم .

ولكن عادة ظلت تبكى لأنها تتمنى أن تصطحب صديقاتها في نزهة مثل هذه منذ زمن ولم تحنُ الفرصة إلا في هذه الرحلة . وفي النهاية تركتها وعادت لتذاكر دروسها .

وفي النهاية رضخت عادة لرأى أمها ولم تتحدث في الأمر . مرت الأيام سريعة عليهم جميعًا .. بطيئة على عادة وإن كانت حالتها قد تحسنت قليلاً وتقبلت الأمر الواقع . وجاء يوم الحفل المنتظر .

ارتدت الفتيات أفخر الثياب غير متبرجات فكانت ثيابهن تشي بالأخلاق الرفيعة التى تربيهن عليها . قالت فريدة كان يجدر بى ألا أحضر لدى اختبار فيزياء غدًا وأحتاجُ لكل دقيقةٍ . فردت عليها آية :

مناسبة وجاءت إلينا فهل نتركها ؟

حتى تخرجي من حالة الخوف من الامتحانات والتوتر المسيطرة عليكِ

وتنسي ولو قليلاً الاختبارات.

فابتسمت فريدة وربطت على كتفها وقالت أتمنى ذلك.
وحضروا جميعاً إلى الخطوبة بما فهم عادة التي ظلت واجمةً تفكر
ولا تتحدث إلى أحد أثناء الحفل.
عندما عادوا للمنزل بعد انتهاء الحفل.
دق جرس الهاتف ..

فردت آية : أهلاً حنين .. سأدعو غادة؛ لتكلمك حالاً.
بعد ثوانٍ عادت غادة وردت على الهاتف وقالت :
أهلاً حنين.

معقولة ماذا قلت؟ لا أصدق !

نعم نعم.. أكيد مع السلامة.

ثم طارت غادة من الفرح وحدثت والدتها على الفور قائلة يا أمي
لن تصدقي.

الأم: ماذا حدث؟ وهي متعجبة .

غادة: الرحلة لم تذهب اليوم وقد تأجلت ليوم الخميس.

الأم : ماذا.. معقول! ولما؟

غادة: الحافلة تعطلت قبل الرحلة بساعة وفشلوا في إصلاحها

آية : هل ستذهبين يا غادة؟

غادة: طبعاً ربنا يحبني ولا يريد أن يكسر بخاطري

عادت الأم تقول: تمهلي قليلاً لكي أفكر.

غادة:

ستوافقين بإذن الله يا حبيبتي وقبّلتها من وجنتها.

الأم: تمهلي قليلاً مازلنا مُتعبين من الحفل.. غدًا سوف نتحدث في الأمر.

غادة : ماذا أيضًا؟ لم أكنُ أتخيل أن يدبرها الله بهذه الطريقة، وسوف أسأل أبي هذه المرة ثم جرت تجاه حجرة أبيها وطرقت الباب

صائحة :

أبي أبي ما رأيك ؟ تأجلت الرحلة أريد أن أذهب معهم.

فابتسم كريم قائلاً:

طبعاً أوافق ونادى قائلاً:

يا سميرة لا تنكدي على البنت دعها وشأنها

عندئذ قالت الأم :

دعني أرى جدول الدروس أولاً ربما فاتها درس لا يمكن تعويضه .

لا تخافي يا ماما سوف أحضر مع مجموعة ثانية كما ستفعل كل الطالبات قاتلها غادة.

وأمام كل هذه التوسّلات لم تجد سميرة بُدًا مما ليس منه بُد.

ورضخت الأم لرأى الجميع ووافقت .

في الوقت نفسه أخذت أختها الصغيرة آية تنظر بتمعن وتحسبها بعقلها

وتفكر لو كان هناك مرافقين في الرحلة فلما لا؟

في يوم الأربعاء صباحًا كانت آية تبكي وتقول :

استحلفك بالله يا ماما أذهب مع غادة والأم ترفض حتى تدخل
الأب كالعادة، وأنهى الحوار موافقاً على سفر الفتاتين برغم تبرم الأم
وقلقها ورفضها أن تصدق ما يحدث.

* * *

الرحلة

جاء يوم الخميس واستعدت الفتاتان للسفر، وقامت كل منهما بإعداد حقيبة السفر بما فيها من ملابس، وأطعمة، وعصائر خصوصًا أنهما ستمضيان ثلاثة أيام هي كل مدة الرحلة. ولم تنسيا وضع الهاتف النقال الذي يحتوي على كاميرا ١٣ "ميجابيكسل" لضمان الصور الرائعة لكل مكان سوف يذهبن إليه، وقالت عادة أتعرفين يا آية هذا الهاتف أهم عندي من الطعام والشراب ألا تعرفين أن الزمن سوف يتوقف عند لحظات التقاط الصور فقالت لها آية كيف ذلك؟

فردت عادة: لحظة التصوير ما هي إلا تسجيل للحظات الزمن كلما مررنا عليها في المستقبل استعدادناها بكافة تفاصيلها وشعرنا نحوها بالحنين.

وفي تمام الثامنة صباحًا، كانت الفتياتُ جهزْنَ كل شيء واتجهنَّ إلى المدرسة وكانت الحافلة تنتظر الجميع أمام المدرسة حيث تجمعت كل الطالبات والمشرفات والمشرفين وبعد حوالى ساعة كانت الحافلة تشقُّ طريقها بين المئات من السيارات متجهة صوب محافظة الفيوم حيث المكان المتفق عليه للرحلة .

وأثناء الطريق كانت الفتيات تغنى أجمل الأغاني الشبابية وتصفقن وهن في منتهى السعادة .

وفي مخيلة كلِّ منهن أحلام وآمال وصور رأيتها من قبل للفيوم.

بدأت الفتيات في الشعور بالجوع فتناولن الوجبات الخفيفة المعدة من قبل والسندويشات .

وتسابقن في إنهاءها فور علمهن أن المسافة المتبقية تصل إلى اثنين كيلو متر تقريبًا وبدأ الجميع في الاستعداد للحظة الوصول .

ما أن توقفت الحافلة حتى بدأت الفتيات والمشرفات والمشرفين في الهبوط منها والاستعداد لبدء الرحلة والاستمتاع بكل لحظة فيها.

تجمع الجميع أمام الفندق الذي تم الحجز فيه مسبقًا من قبل إدارة المدرسة ثم غادروا إلى غرفهم؛ لوضع الأمتعة، وليأخذوا

قسطًا من الراحة على وعدٍ بالتجمع في ردهة الفندق؛ لبداية الخروج والتوجه إلى المزارات المتفق عليها بين المشرفين والتي سبق

وأن تم الإعلان عنها أثناء حجز الرحلة

في البداية نزلت غادة وآية مع أميرة صديقتهما في الغرفة نفسها ولم يتوقفن عن الضحك وإلقاء القفشات والحكايات منذ نزلن

من الحافلة قالت أميرة :

أنا في منتهى السعادة كنتُ أحلم بهذه الرحلة منذُ زمنٍ بعيد

فردت آية: وأنا كذلك.. قالت غادة: أشعر أن الله يحبني إذ هيأ لي في آخر لحظة السبيل لكي أذهب معكم برغم أنني كنتُ قد فقدتُ

الأملَ في ذلك.

ثم توجهن إلى فراشهن؛ لأخذ قيلولة قصيرة قبل الميعاد المتفق عليه

وفى تمام الساعة الثالثة عصرًا كان المشرفون والمشرفات
والطالبات
كلهم مجتمعين فى ردهة الفندق متأهبين للرحيل بالحافلة للتجول
فى المدينة الساحرة .



مسيرة الرحلة

بعد دقائق من بداية سير الحافلة بدأت الأستاذة إجلال معلمة مادة الدراسات الاجتماعية تشرح أهم المزارات بالفيوم وأماكن الفسح والأماكن السياحية فيها .

قالت: من أجمل الأماكن التي سنزورها وأهمها:

بحيرة قارون.. والجميع يعلم جمالها وما بها من مياة صافية لونها رائع.

السواقي وبحريوسف ومحمية وادى الريان وقرية تونس ومحمية وادى الحيتان والشلالات وجبل المدورة وسأشرح لكم بالتفصيل كل مكانٍ على حدة فور الوصول إليه.

وسوف نبدأ ببحيرة قارون.

بحيرة قارون:

اتجهوا – بالفعل - إلى مكان البحيرة وعادت المعلمة للشرح مرة أخرى

أما عن البحيرة فهي تقع شمال مدينة الفيوم على بعد سبعة وعشرين كيلومتر منها. وهي تعد من أعماق البحيرات حيث يصل عمق بعض الأماكن بها إلى أربعة عشر متراً وتتميز بوجود أسماك المياة العذبة وأسماك المياة المالحة وكانت البحيرة تستمد المياة من نهر النيل أثناء

الفيضان أيام الفراعنة حيث إنها منخفضة عن سطح البحر بما يقرب من خمسة وأربعين مترًا تقريبًا.

مساحة البحيرة ثلاثمائة وثلاثون كيلو متر مربع وطولها أربعون كيلو متر وعرضها سبعة كيلومترات وقد قلت مساحتها بفعل الجفاف على مر العصور.

أعجب أفراد الرحلة بشكل البحيرة جدًا والتقطوا الصور التذكارية لها

ثم توجهوا لزيارة مكان آخر.

جبل المدورة:

وعند الوصول إلى جبل المدورة وبالتحديد منطقة القمة المقوسة شاهدوا منظرًا بديعًا جدًا من فوق أعلى نقطة نسبيًا. وهي مكان رائع للتصوير بما فيها من فرصة للعب بالإضاءة. والجو الصافي منحهم أجمل منظرًا طبيعيًا يمكن أن يرونه. وتسابقت الفتيات في التصوير وكل واحدة تحاول أن تريهم ما صورت.

ثم اتجهوا إلى البحيرة السحرية:

اتجهوا إلى البحيرة السحرية وتتميز بالسطح السميك الكثافة الذي يتيح لها السكون الجميل الخالي من الدوامات أو الاهتزازات أو التموجات وسميت البحيرة السحرية؛ لأن شكلها يشابه لوحة مرسومة من بعيد كأنها سحرٌ وليس حقيقةً .

ثم توجهت الرحلة إلى قرية تونس فقالت إحدى المشرفات واصفة القرية:

قرية تونس) هى عبارة عن سوق واسع للمنتجات اليدوية. ثم اتجه كل أعضاء الرحلة لشراء الهدايا والتذكارات منها. والتي تنوعت بين الفرش والملابس والأواني وكلها ذات ألوان جذابة تشيع البهجة فى المكان .

واشترت عادة عباية مزركشة باللون الأزرق والأحمر لوالدها، وغطاء للرأس منقوش لأختها فريدة، كما اشترت آية لنفسها جلباباً جميلاً منقوشاً بتطريز يدوي باللون الذهبى مع أرضية بيضاء وكانت فى منتهى السعادة

وفى نهاية اليوم اتجهوا إلى محمية وادي الحيتان، وتحدثت عنها معلمة الدراسات الاجتماعية والمشرفة على الرحلة فقالت:

محمية وادى الحيتان:

هى عبارة عن صحراء منبسطة بتكوينات صخرية إثباتا للنظرية التى تؤكد أن الأرض كانت مغمورة تحت الماء فى بداية خلقها. فيها هياكل لحيتان وكائنات بحرية انقرضت من ملايين السنين وكائنات تعتبر حلقة متوسطة فى حركة تطور الأحياء.

كما يوجد بها متحفان أحدهما مقفول، والآخر مفتوح .

أما المتحف المفتوح:

فهو عبارة عن طريق فى الصحراء ممتد وعلى جانبيه هياكل بعض الكائنات التى يصعب نقلها وحفريات متنوعة تنتشر فيه.

أما المتحف المقفول:

هو عبارة عن قاعة دائرية كبيرة تم نقل الهياكل المتماسكة إليها وعلى الجدران لوحات تشرح أسرار حياة الحيتان بالمكان .
وقاعة فيديو ملحقة بالمتحف فيها فيلم تسجيلي قصير يشرح الطبيعة البيولوجية والجيولوجية للمكان لا يوجد تلوث ضوئي بالمكان لذلك قيل لهم: إنها تصلح للرصد الفلكي؛ لأنها بعيدة عن أضواء المدينة.

ثم انتقلت الرحلة بعد ذلك لمشاهدة الأهرامات العديدة هناك مثل أهرام هواره وسيلا واللاهون وميدوم وسنفرو .
كذلك الآثار اليونانية تم مشاهدتها ثم توجهوا إلى قصر قارون. ويتميز قصر قارون بتصميمه الساحر حيث تتعامد عليه الشمس في الثلث الأخير من شهر ديسمبر.

وفي اليوم التالي للرحلة تمت زيارة مدينة كرانيس ومدينة ماضي الأثرية وما بها من تماثيل وتوابيت ومقابر فرعونية.
كما تم زيارة مسجد قايتباي ودير الملك غابريال ودير الغرب وكنيسة العذراء وكنيسة أبي السيفين .
ثم انتقلوا إلى منطقة السواقى وهى مزار سياحى فى وسط المدينة ولا تعمل فعلياً.

وتم إلقاء الضوء على أماكن الطيور المهاجرة فى أقصى الشمال الشرقى فى الفيوم وفى أقصى غرب بحيرة قارون حيث تتوافر هذه الطيور .

المفاجأة

وبالفعل زاروا كل الأماكن السياحية المتفق عليها ولم يبق سوى الشلالات فتم الاتفاق على أنها آخر الأماكن في برنامج الرحلة .
مرت الساعات سريعاً بين التجول والتصوير والاستمتاع وتناول الطعام حتى بدأت الشمس في الرحيل وشارف اليوم على الانتهاء ثم توجهت الرحلة إلى منطقة الشلالات وكان معروف عنها أن مياهها عميقة، وأنه لا يوجد عندها علامات تحذيرية في شلالات وادي الريان

ولكن الجميع أصروا على ركوب " اللنشات " والتجول بها ومنهم من وقف ووضع قدميه في الماء وفجأة حدث ما لم يكن متوقعاً.. نظر المسئولون عن الرحلة فلاحظوا غياب ٤ طالبات من فوج الرحلة فساد التوتر على الجميع. وكانت آية أخت غادة من ضمن الغائبات وأصغرهن ومعها أميرة وأمل ونهال.. وكلهن في حدود الخامسة عشرة.

رجع أحد المعلمين بباقي الطالبات إلى الفندق وظل باقي المشرفين والمشرفات للبحث والسؤال عن غيب بدأت باقي الطالبات في البكاء وبدأت غادة في النحيب وزميلاتها يهدئن من روعها والجميع يحاول تذكر آخر لحظة تمت رؤية الفتيات المختلفيات فيها .

مرت الدقائق وكأنها أعوامٌ، وربما دهور طويلة على أعضاء الرحلة

وما هي إلا لحظات وتبدلت الفرحة بالخوف والدموع وغادر أحد المعلمين ويُدعى أستاذ هشام؛ ليبحث بالقارب في داخل الشلالات ومعه بعض الصيادين بالمنطقة، ومسحوا المكان تقريبًا ولكن بلا فائدة فتم إبلاغ شرطة السواحل. وأكدت الطالبات أن الأربع فتيات المختفيات كن واقفاتٍ على مقربةٍ من المياة وأرجلهن في الماء وفجأة اختفين.

سأل ضابط المباحث الذي انتقل لمكان الحادث مع قوة من مركز الشرطة للبحث في الأمر والتأكد من عدم وجود أية شبهة جنائية حول اختفاء الفتيات

وبالفعل بدأ في سؤال غادة عن أختها وسألها قائلاً:

ما آخر مرة رأيتِ فيها أختك تقريبًا ؟

فأجابت وهي تبكى: منذ ساعة تقريبًا وكانت تلهو بجوارى عند الشلال

فقال الضابط:

هل كنتما في قارب أم فوق الشاطئ ؟

فأجابت كنا فوق الشاطئ ولكنها كانت تحاول أن تغسل قدميها بالماء

وكنت أنهرها مرة بعد مرة

فسأل فتاة أخرى تُدعى يارا:

متى رأيتِ الفتيات الأربعة المختفية لآخر مرة:

فردت وهى ترتعش من الخوف كانوا بجوارنا وفجأة اختفوا بينما
كنت

ألتقط بعض الصور.

فسأل الأستاذ هشام المشرف على الرحلة:

هل تعرف المسؤولية القانونية التى تقع عليك من جراء ما حدث ؟
فأجابه: نعم أعرف.. وأنا لم أقصّر ولم أهمل فى حق الفتيات وأنا
أتحمل أى مسؤولية ترونها. فأنا تعاملت معهم كأنهم أبناءى.
نزل خفر السواحل إلى المياة العميقة قبل أن تجرف الفتيات
وبالفعل تم العثور على اثنتين هما نهال وأمل.. ولم يتم العثور على
آية وأميرة .



ليلة عصبية

تم نقل الفتاتان إلى المستشفى وكانت أقرب مستشفى على بعد ٧٠ كيلومتر في إيشواي فتولى أحد المعلمين الذهاب داخل سيارة الإسعاف إلى المستشفى مع المصابتين وهما في حالة إعياء شديدة. ولم يتم استفاقتهما إلا مع صلاة الفجر وفي البداية.. لم تتحدثا كثيرًا من هول الصدمة ولكن بعد الظهر تحسنت حالتهما قليلاً وتكلمتا.

ولكن غادة صرخت وقالت لهم لن أعود بغير أختي فحاول الجميع التهدئة من روعها فلم يفلحوا واستمر البحث عن المفقودتين أكثر من

ثلاث ساعات بلا فائدة وكان الجميع يلهث ولا يدرون ما العمل؟! وعندئذ اقترح خفر السواحل إكمال البحث في الصباح الباكر حيث إن الليل كان قد انتصف ومن الصعب إكمال البحث .

نهاية الرحلة

كأنه كابوس يمر بالجميع واستمر البكاء طوال الليل. ولم يتم إعلام إدارة المدرسة بما حدث. ثم توجهوا للمشفى لرؤية الفتاتين للاستعلام منهما عما حدث ولكنهما لازالتا في مراحل الإسعافات . وما أن تم إفاقتهما حتى أصيبتا بالخوف وإبداء رغبتهما في العودة للمنزل فتولت معلمة الدراسات تهديتهما وقالت سوف نعود صباحًا والآن نريد أن نعلم.. ما حدث؟

فقالته نهال:

كنا نقف معًا والأرض تحت أرجلنا وما أن أنزلنا أرجلنا فى الماء ففوجئنا بشيء يشدنا إلى أعماق الماء وكان الماء دافئًا ولا أدرى هل هو تيار الماء أو شيء آخر؟ وحاولنا جميعًا أن نصعد أو نعووم للخروج ولكن آية وأميرة لا تجيدان العوم وكانتا تصرخان فحاولنا مساعدتهما ولكنهما قامتا بشدنا إلى الأعماق. ولم نفلح جميعًا فى الخروج وكان الموقف صعبًا، ثم فقدنا الوعى ولا ندرى ما حدث بعد ذلك .

وأكدت أمل كلامها وتم تسجيل ذلك فى محضر الشرطة .



عودة الرحلة

مرت الليلة طويلة كئيبة عليهم جميعاً وفي الصباح حاول أفراد فرقة الإنقاذ العثور على المفقودتين واستمروا فى مسح المكان والغطس بلا فائدة باذلين كل ما فى وسعهم ولكنهم فشلوا برغم خبرتهم فى الغطس. وقرر الجميع العودة بالرحلة خاصة بعد انتشار الخبر الذى وصل للأهالى الذين تجمعوا بدورهم فى المدرسة وطالبوا بعودة بناتهم من الفيوم.

وتم تداول الخبر فى كافة وسائل الإعلام المسموعة والمرئية وعلى مواقع التواصل الاجتماعى ووصل الخبر لأسرة غادة التى أصيبت جميعها بالصدمة، وتم نقل الأم على أثر الخبر إلى المستشفى بعد حالة الانهيار العصبى التى أصابتها.

أفاقت غادة من شرودها على صوت المعلمة وهى تصطحبها إلى الحافلة لى تعود مع باقى أفراد الرحلة إلى القاهرة حيث منزلها. وما أن عادت غادة لمنزلها حتى شعرت بالضيق والخوف وكانت دموعها لا تكاد تجف ليل نهار لشعورها بالمسئولية عن فقدان أختها الصغرى التى كانت الأسرة كلها تحبها جداً .

كانت دائماً ما تتذكر كلماتها ومواقفها معها وإذا رأت أشياءها؛ مثل: ملابسها ولُعبها وأمشاطها وشرائط شعرها حتى تصرخ فى هستيريا وتحاول أختها فريدة أن تهدأها بصعوبة وتقرأ لها القرآن الكريم الذى لم ينقطع صوته من المنزل من بعد ذلك الحادث.

لم يفقد الأب الأمل في عودة ابنته فبعد رجوع غادة ابنته. سافر الأب إلى الفيوم عازماً على البقاء حتى يعثر على جثة ابنته فبقي في الفندق وظل يؤجّر الغواصين كل يوم للبحث بلا فائدة ولم يرجع إلا بعد عدة أيام خالي الوفاض.

أما غادة فكانت واجمةً لا تتحدث إلى أحدٍ، وتقضى جُل وقتها في البكاء والذكريات المؤلمة .

كذلك فريدة والتي كانت لا تستذكر دروسها كما كانت من قبل فهي شاردةٌ حزينةٌ لا تستطيع التركيز في مذاكرتها ولا تجد من يهتم بها. أما أمهن سميرة فقد تم توقيع إذن خروجها من المستشفى بعد أسبوعين ومعها قائمة طويلة عريضة من المهدئات التي لا تنام بدونها وكانت الأم تقريباً لا تتكلم إلا للضرورة. مازالت تشعر بالصدمة وتطالبهم ألا يذكروا اسم آية أمهما، فقلها موجوع ولا تريد تذكر ما حدث..

بينما كانت غادة تحاول التودد لأمها وتذكرها أنه أمر الله ولا يملك أحد تغييره أو الاعتراض عليه.

فكانت تنظر لها بعتابٍ ولا تنطق مما يزيد من حالتها النفسية سوءاً فتحاول ثانية وثالثة أن تواسى أمها، ولا تعلم أن الموضوع أقوى من المواساة أو من النسيان .

وهكذا أصبح حال الأسرة لا يسر أحداً، وتمضي الأسرة من حزن إلى حزن ولا أحد يعلم على وجه التحديد متى ينتهي كل ذلك؟؟



في الفيوم

مرت عدة أيام وكانت الفتاتان مختلفتان ولا يسمع أحد عنهما أي شيء ولكن الحقيقة أنهما مازالتا على قيد الحياة .. فعندما فقدت أمل ونهال وعيها تحت الماء، لم يشاهدا ما حدث وفي هذه الأثناء كان هناك صيادٌ اسمه "محروس" يعبر الشلالات بمركبه كما تعود كل ليلةٍ في المساء فظهرت أمامه يدٌ بشرية على سطح الماء كانت تظهر وتختفى في الماء فتقدم منها فوجدها فتاة صغيرة وأخرى بعدها بمسافة قصيرة تحاولان التشبث بقطعة خشب في الماء وقد أرهقتهما المحاولة وأتعيبهما الكفاح للخروج من الماء دون جدوى فأخرجهما الصياد من فورة تباغًا ثم نقلهما معه في المركب وعاد بهما إلى منزله .

في منزل الصياد كانت زوجته التي تدعى "عزيزة" تعد له وجبة العشاء كالعادة وأثناء تواجدها في المطبخ فوجئت بزوجهما يحمل الفتاتين على التوالي إلى داخل المنزل، فسألته بدهشة وبصوت عالٍ.. ما هذا؟! فأجابها: هيّا لنسعهما أولاً ثم نفهم منهما ما حدث. فقالت له: أين عثرت عليهما؟

نثر الرجل وزوجته الماء على وجه الفتاتين وأعطتهما ملابس جافة وصنعت لهما شرابًا دافئًا، وهما خائفتين ترتجفان ولا تستطيعان الكلام بعد.

مرت ساعتان على هذا الحال وكان الصياد وزوجته في ردهة المنزل يتحدثان عما حدث ويتفقان على عدم إبلاغ الشرطة قال الصياد بمكرٍ: رزق وأرسله الله لنا فهل نقول له: "لا" ؟
فردت عزيزة: لا طبعًا.. ولكن آخر مرة كدنا أن يُقبَض علينا محروس: لا إنها كانت ظروفًا أخرى، وقد أبلغ عني الخائن "عماد" ونال جزاءه ولكن هذه المرة هما ليستا من الفيوم أصلًا وكانتا في رحلة مدرسية على ما يبدو..

فقالت عزيزة: لولا حماية المعلمِ حسنين لك.. لكان مصيرك خلف القضبان الآن.

محروس: تذكري لنا شيئًا أفضل الآن بالله عليك هذه لقمة عيش ونحن لا نقتل ولا نقطع، الأطباء من يفعلون ذلك ثم إن المعلمِ حسنين يبيع ويقبض ويعطينا حصتنا.

وفي النهاية قررا التصرف بطريقتهما الخاصة مع الأمر.
وفي الصباح الباكر، استيقظ الصياد وزوجته أولاً وجلسا يتشاوران في الأمر.

سمعت أميرة الصياد يقول لزوجته أطعمهما ثم سأحضر لك المخدر لتشرباه في الشاي ثم نبيعهما للمعلم حسنين كما اتفقنا..

وكان المعلم حسنين يعمل في تجارة الأعضاء البشرية حيث يجمع ضحاياها في أحد المنازل التي تقع في منطقة خالية تقريبًا من البشر في أطراف الصحراء ثم بالاتفاق مع أحد الأطباء معدومي الضمير يقتل الضحايا وينتزع منها الأجزاء المطلوبة مثل الكلى والقلب والكبد وقرنية العين وغيرها ..

ثم يقوم أحد التجار الكبار بنقل الأعضاء المتفق عليها إلى أحد المستشفيات في القاهرة والتي تقوم بعمليات زراعة الأعضاء مقابل مبالغ طائلة.



الصدمة

ارتعدت أميرة ولم تُردُّ أن تخيف آية فتوجهت إليها وهمست في أذنها لو كلمتك زوجة الصياد حاولي أن توهميها أنك مازلت نائمة ولا تتناولي أي طعام أو شراب منها. فسألتها آية عن السبب فقالت لها سوف أوضح لك الأمر فيما بعد ولكن عليك أن تثقي فيّ وأنا سأساعدك فهزت آية رأسها بالموافقة ولم يسعها إلا أن تنفذ ما طلبته منها أميرة.

مرت ساعة ثم دخلت زوجة الصياد عليهما وحاولت إيقاظهما وتكلمت بصوت عالٍ وبكلمات تعنى أنها مشغولة ولن تمكث بجوارهما طوال اليوم ثم قالت:

سأذهب أنا للسوق وأعود سريعاً قبل أن تستيقظا.

وعند سماعهما للباب يغلق همتا بالنهوض وارتداء حذاءين من المنزل وفرتا هاربتين وفي الوقت نفسه حاولن ألا يتركا أي أثر لقدميهما في وسط الرمال التي تحيط بالمنزل.

تاركتين خلفهما العديد من التساؤلات برأس الصياد وزوجته بعد أن عادا إلى المنزل. عنَّف الصياد زوجته فور عودته وقال لها كيف تخرجين وتتركيهما وحدهما ألم أقل لك أنك غبية من قبل.

فردت عزيزة: ليس لنا نصيبٌ فيهما لهما عُمر صدقني.

جرت الفتاتان بكل ما أوتيتا من قوة وأطلقتا ساقيهما للرياح إلى أن وصلتا إلى مكان يبدو أنه داخل الصحراء وجلستا في ظل أحد النخيل تتحدثان عما حدث وأخبرت أميرة آية بما سمعت وطلبت منها رباطة الجأش والتعاون معها حتى تستطيعا العودة إلى منزلهما بسلام.

ولكنهما تيقنتا أنهما في مأزقٍ عظيمٍ.

فبكت آية وقالت: أنا خائفةٌ.. لم يخطر ببالي ما يحدث لنا.

أميرة: لا تخشي شيئاً طالما أن الله معنا.

مر بعض الوقت ووقفت أميرة وآية معاً وأكملتا سيرهما في الاتجاه نفسه، فقالت أميرة :

أشعرُ بالعطش والجوع. فأجابتها آية: وأنا كذلك.. وبعد وقت طويل لاح من بعيد مبنى قديم فاقتربتا منه راجيتي المساعدة.

طرقتُ أميرةُ الباب وكان يبدو أنه ليس منزلاً ولكنه مبنى على ما يبدو مصنّعاً قديماً فوجدتا الباب مفتوحاً. ولم يظهر أحد فدلفتا إلى الداخل بسرعة؛ حيث بدأ الجو يتقلب وعاصفة رملية تهب سريعاً.

وجدتا ردهة طويلة تنتهي بأحد الأبواب فدخلتا من الباب الرئيسي ثم تقدمتا في الردهة التي كانت مضاءةً بأحد المصابيح الكبيرة. ويوجد حوض يحتوي حنفية مياه فقامت أميرة بالتراجع وحاولت إقناع آية بالرجوع ولكنها كانت متعبةً، فقالت لها :

فلننتظر هنا.. في الداخل .. حتى الصباح خوفاً من أن يظهر لهما أي حيوان ضال ممن يعيشون في الصحراء.
فقبلت أميرة ولكن بحذرٍ شديدٍ وطلبت من آية ألا تتقدم من الباب الداخلي وأنهما ستنظران في مكانهما حتى الصباح. إلا أنهما شربتا ماءً كثيراً كانتا في حاجة إليه .

وبالفعل مرت الساعات طويلة عليهما وهما في حماية هذا المكان خوفاً مما قد يصيها في الصحراء من مخاطر، ولم تخل هذه الساعات من صوت الذئاب الصحراوية تارة، والكلاب الضالة تارة أخرى.. لكن الفتاتين نامتا. وكانت إحداهما إذا نامت الأخرى تحرسها ثم تناوبتا الحراسة والنوم حتى الصباح .

أشرفت الشمس كعادتها في الصباح وأنارت الدنيا من حولهما فاستيقظت الفتاتان وقالت أميرة:

هياً بنا لكي نتابع السير لعلنا نجد أي مكانٍ به طعام .
فردت آية : هياً بنا.

فخرجتا مسرعتين في الطريق نفسه وكانت العاصفة قد هدأت والجو صافٍ بعض الشيء،

ثم رأتا بقعة من الماء أمامهما وما أن اقتربتا منها حتى اتضح لهما أنها سرابٌ فشعرتا بالفشل واليأس.. وبدأ تفكيرهما ماذا لو قضيا نحيهما هنا ومن سوف يدري بمكانهما مرت الدقائق ثقيلة وطويلة وبدأ الأمل ينطفئ في عيونهما. ولكن بعد أكثر من ساعة قالت آية :

أما سمعتِ قصة الشباب الذين فُقدوا في كهف في جبل كبير وأخرجهم عملهم بعد أن أغلق الكهف بصخرة ضخمة عليهم وكان المعلم يحكيها لهم في المدرسة مُدلاً على أن عمل الإنسان ونيته لا بد أن ينجيه في النهاية وأخبرهم المعلم وقت ذلك كيف أن كل شاب حكى قصة اعتصم فيها بمنهج الله وتمسك بتعاليم دينه وما هي الإلحظات

وتحركت الصخرة شيئاً فشيئاً حتى خرجوا..

فقالت أميرة: بلى.. أتذكر القصة، ولكن نحن في الخلاء ولم نعثر على أي بشرٍ منذ الأمس فأشارت آية عليها بفطرتها السليمة إذن هيّا فلنصلي ونتضرع إلى الله أن ينجينا.. لقد أخبرتني أمي أن الدعاء مع اليقين بالإجابة يفعل المعجزات وربما نجّانا اللهُ بهذه الطريقة. فابتسمت أميرة وأشارت عليها بالتميم والصلاة في اتجاه شروق الشمس وهو اتجاه القبلة .

وفعلاً شرعنا في الصلاة بقلب خاشع وبنفس ثابتة موقنة بالنجاة وأطالا في الدعاء والتضرع إلى الله والاستغفار. وما إن فرغنا من الصلاة حتى شعرنا براحة نفسية عجيبة وامتثالاً لأمر الله، ولو ماتنا على الفور لما جزعنا بعدما شعرنا بالنور يملأ قلوبهما بالأمل.



استئناف الرحلة

مرت دقائق وعادتا للمسير فرأتا المتحف المقفول الذي مرتا عليه
بالأمس يلوح أمامهما

فأدركتا وصلهما إلى محمية وادي الحيتان

فجريتا نحوه وكان هناك أحد الحراس بجانب الباب من الداخل
فسألها عن شخصيتهما فأخبرتهما بأنهما كانتا مع الرحلة منذ عدة
أيام وفقدتا في الصحراء وهما في حاجة إلى اللجوء للمتحف حتى
تدبرا أمرهما فلم يمانع .

وأعطاهما طعامًا وماءً على أنه كان مرتابًا فيهما في البداية ولكنه ما
لبث أن أشار إلى حجرة غير مستخدمة كانت مخزنًا من قبل لتقضيا
ليلتهما فيها حتى يتصرف الجميع في الصباح.

مر الليل طويلاً عليهما وما كان يخلو من أصوات في المكان لاتدريتان
من أين تصدر.. أحيانًا صفير، وأحيانًا نحيب، وأحيانًا طرقات فلم
تتحركا وكأنهما تجمدتا في مكانهما وتجاورتا خائفتين ترددان ما
تحفظا من آيات القرآن الكريم وتدعوان الله أن ينجمهما ومرت
الليلة.

وبدأت الشمس ترسل أشعتها الدافئة فتكسو المكان كله نورًا وأمانًا
وأملًا أيضًا .

وخرجتا من المتحف قبل أن يأتي الحارس مسرعتين بعد أن
تعرضتا لليلة صعبة لن تُنسى ما عاشتا.

بعد قليل من السير وجدنا امرأة تتشح بالسواد تقابلهما في الطريق تقود سيارةً وتنظر إليهما في تدقيق فسألتهما عن الطريق للعودة إلى مدينة الفيوم.

فارتابت في أمرهما ومظهرهما الغريب والملابس الرثة التي يرتدونها وشعرهما الذي تعطر بوشاحين غريبين كانتا قد عثرتا عليهما في منزل الصياد.

قالت المرأة:

أريد أن أعرف قصتكما بصدق قبل أن أدلكما على الطريق فجلسن جميعاً على نخلة ملقاة في الصحراء ثم شرعنا في الحديث. بعد أكثر من ساعة كانت تستجوبهما حتى صدقت ما قيل لهما، ثم أخبرتهما أنها صحفيةٌ وجاءت لعمل تحقيق صحفي عن الفتاتين المفقودتين في الرحلة المدرسية فحمدتا الله على بارقة الأمل التي لاحت لهما.



تصاريف القدر

أخذت الصحفية البنّتين إلى سيارتها وعادت بهما إلى الفندق الذي نزلت فيه ليبيتن الليلة ويسافرن جميعًا من الغد عائدين إلى القاهرة في الصباح.

وفي اليوم التالي أخبرتهما أنها سوف تكتب التحقيق الصحفي المطلوب منها أولاً وتسجل بصوتهما ما حدث قبل أن تأخذهما إلى القاهرة فظهر عليهما علامات الضيق والتبرم ولكن لم تكن أمامهما غير الانصياع لأمرها ولاسيما أنهما لا تملكان حلاً آخر.

مرت الساعات وهي تكتب حتى بدأت الشمس في المغيب وكن قد أعددن أنفسهن للرحيل وركب الجميع في السيارة التي كانت تسير مسرعةً تقطع الأميال في دقائق متجهة إلى هدفها بالقاهرة ولكن فجأة سمعوا صوتاً مدياً تحت عجلات السيارة وكأنه صوت عظام تهشم فخافت الفتاتان وصرختا ولكن الصحفية سارت بالسيارة مبتعدة خوفاً أن يراها أحدٌ، ولم تنوِ العودة أو التحقق مما صدمت بالسيارة.

خافت الفتاتان منها جداً وبدأتا في الاضطراب وإعلان رغبتهما في النزول من السيارة والبكاء وكان الطريق قد بدأ يتضح معالمه ويبدو وكأنه الطريق الزراعي السريع.

في النهاية وبعد إلحاح نزلت الفتاتان من السيارة وغادرت مسرعةً في طريقها وظلتا معاً وحدهما في الطريق في انتظار أحد السيارات

المارة للركوب معها. وبعد نصف ساعة فوجئت الفتاتان بسيارة أخرى مسرعة ما لبثت أن صدمت أميرة فسقطت على الأرض مضرجة في دماؤها بينما ابتعدت السيارة تاركة الفتاتين في وضع مخيف ومحزن لا يحسدان عليه وكانت آية تصرخ: لا، لا تركيني وحدي أميرة أميرة ماذا أفعل ياربى هنا الآن؟؟ وتبكي في جنح شديد.

بعد أكثر من ساعة مرت سيارة خاصة يقودها رجلٌ في الستين من عمره يرتدى بدلة يبدو عليه أنه من الطبقة الراقية في المجتمع فتوقف لهما حين أومأت آية له للوقوف ثم استأذنته أن يقلهما إلى القاهرة إذا كان متجهًا إليهما، وتوسلت إليه أن يفعل شيئاً لهذه المسكينة التي صدمتها السيارة بلا رحمة ففكر قليلاً ثم قال: لا مانع.. هيا هيا .. عاونيني لرفعها من على الأرض ونصطحبها إلى المستشفى.

وفعلاً وضعها في الكرسي الخلفي للسيارة وركبت آية في الأمام معه وفي الطريق سألته آية هل صادفت حادثاً أو ما شابه قبل قليل فقال: إنه شاهد ذنباً ملقى على الطريق يبدو أنه لقى مصرعه تحت عجلات إحدى السيارات المسرعة فارتاح خاطرهما وتأكدت أنه الحادث الذي أرعهما وهما مع الصحفية المسرعة.. وحمدت الله أنه ليس إنسان إذا لظلت طول العمر تتذكر هذا الحادث .

كان صاحب السيارة طبيباً يدعى الدكتور "محمد الشيخ" عائداً إلى القاهرة بعد أن أنهى مهمته في أحد مستشفيات الفيوم حيث قام

بإجراء جراحة قلب مفتوح عاجلة لأحد أبناء المدينة وكان قد تم استدعاؤه لهذا الغرض من القاهرة بالأمس وكان هذا هو السبب الظاهري لتواجده ولكن الحقيقة أنه كان أحد الأطباء الذي يتعامل معه المعلم حسنين الصباغ تاجر الأعضاء البشرية الذي يورّد له المخطوفين.

والفتاة بدورها أخبرته قصتهما بعد أن اطمئنت إلى أنه سيساعدهما ولن يؤذيها وفعالاً.. لم يؤذيها؛ فمهمته في التشكيل العصابي هي عمليات نقل الأعضاء أما الخطف فليس له القدرة ولا الطاقة عليه. وقد تذكرت عندئذ أن الله استجاب دعوتهما ونجاهما على يديه.

وفي الطريق وبعد وصولهما إلى أول مستشفى توجه الطبيب ومعه الفتاتان مسرعين، وطلب من الطوارئ حمل الفتاة المصابة إلى الداخل وأفهم إدارة المستشفى أنه طبيب ويرافق حالة مصابة صدمتها أحد السيارات عثر عليها بالطريق أثناء عودته من الفيوم وفعالاً تم إدخال البنت لحجرة العمليات على الفور ودخل أطباء النوباتجية معها لعمل اللازم كما دخل معهم دكتور محمد عارضاً مساعدتهم إذا تطلب الأمر،

مرت عدة ساعات وتم إجراء ثلاث عمليات جراحية للأميرة من ضمنهم عملية بتر للقدم اليسرى إنقاذاً لحياتها بعد أن حدثت تهتكات ونزيف شديد من أحد شرايين الفخذ الرئيسية ومرور وقتاً

على الإصابة كان طويلاً نسبياً وعلى مسئولية الدكتور محمد الذي وقع على تصريح للمستشفى لعدم وجود أحد من ذويها معها. كانت آية أثناء ذلك تبكي وتدعو الله أن يرفق بهما وأن ينجي أميرة . وفي اليوم التالي فاقت أميرة من أثر المخدر وتيقظت قليلاً وكانت آية بجوارها وقامت بتذكيرها بكل ما حدث ليلة أمس.

قالت أميرة وماذا حدث لي؟ وكيف تم نقلي إلى هنا؟؟ فسردت عليها كل شيء عن دكتور محمد، وكيف ساعدها في نقلها ولم يتركهما إلا بعد الاطمئنان على حالة أميرة حتى منتصف الليل . كما أخبرتها أنه سيعود اليوم مساءً لكي يطمئن عليهما ويبلغ أسرتهما بأنه عثر عليهما.

فوجئت أميرة بما حدث لقدمها فأخذت تبكي بصوت عالٍ وتصرخ أريد أن أموت كيف سأعيش هكذا وفي الحال أنت الممرضات وأعطوها حقنةً مهدئةً منومةً لكي تستريح.

قالت كبيرة الممرضات "سماح" لآية:

هل هي أختك؟

فردت آية لا هي أكثر من أختي.

فردت سماح : رأيتك تبكين عليها بحرقه بالأمس.

فردت عليها آية: نعم ..

لنا حكاية طويلة سأحكها لك فيما بعد عندما أطمئن على حالتها . وفي المساء حضر دكتور محمد للاطمئنان عليهما وجلس مع أميرة وهذا من حالتها وأخبرها أنها من الممكن أن تستعين بجهاز تعويضي

عبارة عن قدم صناعية تمكنها من المشي والحركة مثل الطبيعية، ثم أخذ رقم الهاتف الخاص بأسرتيها للتواصل معهن لاسترداد الفتيات.

وكان دكتور محمد متأثرًا جدًا مما أصاب الفتاتان لدرجة أن ضميره كان يؤلمه مما يفعل ويؤنبه كثيرًا وعندما انصرف من المستشفى واتجه إلى الفندق صلى لأول مرة في حياته، وأخذ يبكي بشدة مستغفرًا الله طالبًا منه الصفح والغفران، وعلى الفور اتجه إلى قسم الشرطة وأبلغ عن التشكيل العصابي الإجرامي بالفيوم وأخبرهم عن العمليات المشبوهة التي كان ينجزها بأدق التفاصيل وكيفية التخلص من الجثث.

وفعلًا بسبب اعترافه اعتبرته الشرطة شاهد ملك ووعدته بعدم ذكر اسمه في التحقيقات.



العودة

بعد مرور بعض الوقت قام الطبيب بالاتصال بعائلي الفتاتين
وقص عليهما كل ما حدث بالتفصيل، وبالفعل كانت المفاجأة
عظيمة حينما علمت الأسترتان بأن الفتاتين

مازالتا على قيد الحياة

عادت آية لأسترتها أخيراً.. وانفجرت أسارير غادة بعد أن كاد الحزن
والشعور بالذنب يقتلها ..

كما شفيت الأم سميرة من صدمتها، وتوقفت عن تناول العقاقير
المنومة واستأنفت حياتها السابقة بكل نشاطٍ داعيةً الله أن يديم
عليهم كرمه ويحفظ بناتها.

كذلك عاد الأب لسابق حياته ولكنه تعلم الحرص كثيراً وتعلم
الحذر جداً والخوف على بناته وأصبح يتجنب خروجهن بدونه .

كما أن فريدة عادت إلى سابق عهدها من المذاكرة والرسم والمرح
أما آية فكانت تبدو وكأن عمرها زاد عشرة أعوام فقد تعرضت
لتجربة صعبة غيرت من نظرتها للحياة وصارت أكثر إيماناً بأن الله
لا يترك عباده في أصعب اللحظات وأدق المواقف.

وعادت أميرة لأسترتها وفرحت الأم بها جداً وكانت تبكي من السعادة
وأخبرها والدها أنه سيركب لها جهازاً تعويضياً بدلاً من القدم التي
فقدتها.. المهم أنها عادت إليهم ونجّتها العناية الإلهية مرتين. فلا بد
أن تشكر الله على نعمته العظيمة.

وتم نشر القصة في اليوم التالي في معظم الجرائد، وما لبثت أن عادت عائلة سميرة إلى التجمع في منزلها مرة أخرى، وتحفل بعودة آية والتي كانت بمثابة عودة الروح للأسرة مرة أخرى.. ولكن لم تعد نفوسهم كما كانت فقد أصابهم كثيراً من التغير والنضج في فترة غير طويلة.

تمت

